# مملكة القلب

د. منى زكي

هيئة الخدمة الروحية للنشر

**طبعة أولى**

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من المؤلف.

**رواية:** مملكة القلب
**المؤلف:** د. منى لطفي زكي وهبه
**تصميم غلاف:** بيتر نبيل
رسم الغلاف لوحة زيتية بريشة الفنانة نسرين الجندي
**صورة د. منى زكي:** تصوير المصور العالمي شريف سنبل
**إخراج فني وتجهيزات طباعة:** د. نصرالله زكريا
**الناشر:** هيئة الخدمة الروحيّة للنشر
**المطبعة:** سيوس
**الطبعة الأولى:** فبراير ٢٠٢١
**رقم الإيداع:** ٢٨١٩ / ٢٠٢١
**الترقيم الدولي:** 978 - 977 - 5436 - 98 - 6

# إهداء

إلى ....
أمي إيزيس سلامه...
منبع الحب والإبداع في عمري

ابنتيّ "داليا" و "للي"...
زهرتي حياتي وعطر مشوارها

كل أم ربت أولادها على المثل والقيم،
وحب الوطن والخير والعطاء وحب الله..
وضحت بكل ما عندها ليحيا الجميع فى حب وأمان وسلام

"مصر" .. أم الدنيا
التى علمت الدنيا كيف تكون الحضارة

... أهدي روايتي الأولى

الحياة...
تعلمك الحب

والتجارب...
تعلمك من تحب

والمواقف...
تعلمك من يحبك

نزار قباني

# محتويات الرواية


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| إهداء ..... | ٣ |
| الفصل الأول: نرمين وثلاثة قلوب ..... | ٩ |
| الفصل الثاني: الـمُدرسة .. ود. نزار ..... | ٢٩ |
| الفصل الثالث: نزار... في بيتنا ..... | ٥١ |
| الفصل الرابع: الصديقان ..... | ٧٧ |
| الفصل الخامس: باريس.. وموسيقى.. وحب ..... | ٩٣ |
| الفصل السادس: الشهيد ..... | ١٣٣ |
| الفصل السابع: ندى والذكريات ..... | ١٥٧ |
| الفصل الثامن: عادل والضابط الصغير ..... | ٢٠٥ |
| الفصل التاسع: الفداء وبداية الحياة ..... | ٢٣١ |

# الفصل الأول

## نرمين وثلاثة قلوب

تبدأ الأحداث بمشهد طابور الصباح لمدرسة «مستقبل أفضل الدولية»، حيث الصفوف البديعة للتلاميذ؛ الذين يهتفون من القلب بمنتهى الحماس:

**- تحيا جمهورية مصر العربية**

**- تحيا جمهورية مصر العربية**

**- تحيا جمهورية مصر العربية**

ثم يدق جرس المدرسة، وتبدأ رحلة الانطلاق للفصول؛ حيث تقف ندى، لتبدأ حصة الموسيقى...

تنضم ندى إلى مدرسة ابنها يوسف (٩ سنوات) لتعمل مُدرِسة الموسيقى بالمدرسة للصف الثالث الابتدائى، وتكرس كل جهودها في أن تعلم الأولاد والبنات الموسيقى الراقية.

وفي اجتماع مع د. نزار، ولجنة مصغرة من وزارة التعليم؛ لمناقشة المنهج الدراسي المصري، ومقارنته بالمناهج الدولية، دار بين الحاضرين الحوار التالي:

**د. نزار:**

- إحنا اتربينا على المناهج المصرية الأصيلة من ابتدائي حتى ثانوي، وأنا شايف إننا نضيف بضعة مواد أساسية من المناهج الدولية؛ لنتماشى مع التطور التعليمي والتنموي فقط، دون إلغاء المناهج المصرية. وكمان لازم نناقش موضوع دمج الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة فى الاجتماع القادم إن شاء الله.

**فيعلق المسؤول بالوزارة قائلاً:**

- د. نزار.. إحنا ممنونين جدًّا لإخلاص حضرتك للمناهج المصرية.. وأنا شخصيًّا موافق على إضافة بعض المواد المهمة؛ كما ذكرتم لمواكبة التعليم الدولي.

وأوعد سيادتك إن الموضوع التاني جارى دراسته بكل جدية في الوزارة.

**وبعد جلسة استعراض لكل الآراء .. يختتم د. نزار الحوار في الاجتماع قائلاً:**

- أشكر حضراتكم على المتابعة والمساندة. وأتمنى من كل قلبي أن نكون جميعًا، هنا في المدرسة، عند حسن ظنكم.

بعد مضي أسبوع على بداية العام الدراسي، تكتشف ندى أن ٩٠ ٪ من زملاء يوسف أبناء مطلقات، ولديهم نازع العنف، والتردد، ويعانون من مظاهر الضياع بين الأب والأم. وتجد لكل طفل حالة خاصة مع والديه والمدرسة..

ومن المسؤولية الاجتماعية للمدرسة الخاصة أن تكون لها توءمة مع مدرسة حكومية أخرى؛ فيختلط الأطفال الأغنياء المدللون بين أهاليهم المنفصلين، مع الأطفال الفقراء المحرومين والبائسين.. ويالعجب أن يكون بينهم عامل مشترك أساسي، ألا وهو أن معظمهم أبناء مطلقات، ولكن لظروف أخرى، منها: زواج الأب من امرأة أخرى، أو الإدمان، أو سجن الأب أو الأم بسبب السرقة أو الديون.، وأسباب أخرى مماثلة كثيرة..

تتعـرف ندى إلى الرئيس التنفيـذي، وصـاحب المدرسة الخاصة، د. «نزار توفيق»، وهو شخصية متزنة وجذابة - في منتصف الأربعينيات من عمره، درس في فرنسا حيث حصل على دكتوراه في الهندسة، وله استثمارات كثيرة في مصر وفرنسا، ولكنه فضل أن يؤسس هذه المدرسة لإيمانه الشديد برسالة التعليم الجيد، وارتباطه بالفن في مراحل التعليم كلها.

**وعلى هامش حوار سريع عابر، جمع بين د. نزار وندى.. قال د. نزار:**

- مشكلة كمية الطلاق في الأيام دي - إن محدش عنده صبر، ولا أعصاب للتحمل؛ علشان الأطفال يتربوا في جو أسري وصحي..

**ندى ترد، وهي في أعماق نفسها حزينة لظروف ابنها يوسف، حيث إنها عانت تجربة الانفصال:**

- أنا معاك يا دكتور.. بس أحيانًا الظروف بتخلي الست أو الراجل يضطروا للطلاق؛ علشان الأولاد تعيش في نعمة السلام.

- ممكن طبعًا.. بس أنا شايف دا له تأثير شديد جدًّا على الاطفال؛ خصوصًا لما الآباء يتنازعوا مع بعض أمام الأطفال، ويجرَّحوا في كل شيء جميل بينهم بمنتهى الأنانية.

- حضرتك حساس قوي يادكتور – الأولاد دي تاكل الزلط.. دول وحوش!!

يمر الأسبوع الأول في المدرسة بسلاسة، وتعود ندى إلى المنزل لتعزف على البيانو، حتى تحضر والدتها نرمين هانم..

**نرمين هانم،** والدة ندى، فقدت زوجها المهندس «رفعت شاش»، وهي في أجمل سنوات عمرها في أوج شبابها – لديها ابن اسمه «**عادل**»، وابنة اسمها «**ندى**»، راحت تكرس كل حياتها لتربيتهما، وتتولى إدارة مصنع الرخام في منطقة «شق التعبان» مع أخي زوجها «عماد شاش»، الذي يكن لها كل الحب والاحترام، ويلتزم معها بكل التفاصيل المهنية والمادية بكل أمانة؛ لإعجابه الشديد بهذه السيدة الرقيقة والفنانة الجميلة – وأيضًا عرفانًا منه بأنها كرست حياتها لأولادها.

تدور الأيام والعائلة ميسورة الحال، ويتخرج الابن «**عادل**» من كلية الشرطة، التي كان الالتحاق بها أمنية حياته – وتتخرج الابنة «**ندى**» من كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية – ولأنها تعشق الموسيقى والغناء وتعزف الجيتار.. فإنها درست أيضًا في «الكونسرڤاتوار» وتخرجت بمرتبة شرف في قسم الغناء.

تتزوج «**ندى**» من «**شريف**» الذي أحبته، وهي في المرحلة الجامعية– بعد قصة حب عنيفة بدأت منذ أول سنة جامعة –

وشريف شاب وسيم، وغنى، ومن عائلة كبيرة في مصر.. ولكن هذا الزواج يستمر سنتين فقط، بعد أن أنجبت ندى ابنها «يوسف». وقد كان سبب الطلاق هو اكتشاف ندى أن زوجها مدمن مخدرات، ولا يريد أو يحاول أن يتعالج، بل كان في غاية القسوة والعنف مع ندى؛ فصممت ندى على الطلاق، ولو عن طريق «الخلع»، وتكريس كل حياتها لتربية ابنها «يوسف» في منزل والدتها نرمين هانم.

**بينما واصلت ندى عزف البيانو.. نادت عليها والدتها قائلة:**

- ندى.. يا ندى.. تعالي يا بنتي.. كفاية بيانو.. تعالي كلي حاجة..

**تستمر ندى في العزف... بينما تواصل أمها حديثها:**

- إنتي طول النهار في المدرسة.. مش معقول كده - الغدا جاهز!

- حاضر يا ماما – آخر مقطوعة دي..

- فين يوسف وعادل؟! أنا تعبت منكم!

**تنتهي ندى من العزف وتتوجه إلى والدتها، وفي نظراتها كل الحب والعرفان وتقول:**

- أمي حبيبتي – أنا حاموت من الجوع.. يا أمي يا حبيبتي.. نفسي تلاقي حب تاني في حياتك.. إنتي ضحيتي قوي علشاني أنا وعادل..

- عارفة يا ندى.. الحب الكبير ملوش حدود.. أبوك كان حب حياتي، ومفتكرش إني حلاقي زيه في الدنيا دي!!

- بس يا ماما إنتي لسة صغيرة، وإحنا كبرنا خلاص أنا وعادل.. وكل واحد فينا عمل حياته، وأصبح مستقلاً - أي نعم أنا مطلقة في سني ده الـ ٢٩ – وعندي طفل وحالي حال، ومقدرش أستغنى عنك أبدًا، وطول عمري حأكون محتاجة لك ومحتاجة لحضنك يا قمر.. بس أنا مش أنانية.. أنا نفسي أشوفك سعيدة، في حضن راجل، يحتويكى و يعوضك كل التعب والشقا والشغل والهم، اللي شفتيه في حياتك وفي شبابك..

**تصمت ندى برهة صغيرة، ثم تكمل حديثها، وفى عينها بريق:**

- عارفة يا ماما.. أنا معجبة جدًّا بالدكتور نزار، رئيس مجلس إدارة المدرسة.. الراجل ده عمل كثير علشان الأولاد دول.. فعلاً بيحب الفن، ويؤمن بوجود قوة خارقة في الموسيقي والمغنى.. أنا حاسّة إننا ممكن نوصّل المدرسة دي للعالمية.

- يا رب يا بنتي يديلك حقك، ويكون سند لك.

- ماما.. ده راجل مفيش منه اثنين، يجنن يا امي.. انا خايفة أحبه (ضاحكة)- بعد يوسف طبعًا.

**نرمين، وقد بدأ عليها التأثر:**

- يا حبيبتي يا ندى... أنا أول مرة أشوفك متحمسة كده وسعيدة في الشغل .. ده حب بقى...

- يا ماما – حب إيه اللي إنتي جاية تقولي عليه!

- يا بنتي مش معنى إنك فشلت في حبك الأول، إنه يكون مفيش حب تاني!

**ندى، بشيء من اليقين:**

- ماما أنا لسه قدامي كتير علشان يوسف.. وكمان طموحاتي كثيرة، ونفسي اشتغل أكثر على دراساتي وفني.

**تنظر إلى والدتها بعمق، وتقول مضيفة:**

- المهم إنتي تلحقي وربنا يعوضك يا أحلى أم في الدنيا، وتعيشي قصة حب.

- يا بنتي - عوضي إني أشوفكم سعداء، وبتحققوا رسالتكم في الحياة..

**ندى، وهي في حالة انسجام:**

- بس يا ماما إنت لسة صغيرة وست حلوة ورياضية وذكية، وفيكي كل الصفات اللي أي راجل يتمناها... واحد كده محترم ووقور.... يا ماما عايزين نطمئن عليكي ياست الكل.

**نرمين بلهجة ساخرة:**

- يارب أطمئن الأول عليكي إنتي وأخوكي ويوسف، وبعدين أشوف مستقبلي.

**ندى، وهي مستنكرة:**

- ماما أنا خلاص.. جربت نصيبي وحظي، والحمد لله عايشة علشان يوسف – وعلشان أكون دائمًا جنبك.. ربنا يخليك لي، ومش كل السعادة لازم الجواز وراجل.

**نرمين، وهي تحاول من جديد:**

- ندى حبيبة ماما.. إنتي لسه في عز شبابك، واللي زيك لسه ماتجوزوش.. أنا مش عايزة مأساتي في الحياة تتكرر، وأورثها لبنتي.. بعد موت أبوكي، رفضت أن يكون لكي ولأخوكي زوج أم.. لكن الزمن اتغير، ويوسف محتاج أب وراجل في حياته.

**تواصل نرمين حديثها قائلة:**

- ندى حبيبتي: إنتي مريتي بتجربة صعبة جدًّا؛ لانك كنت صغيرة من غير أي خبرة أو تجارب، واستعجلتي في الاختيار؛ لأنك كنتي بتحبي حب أعمى.. لكن دلوقتى إنتي ناضجة، وممكن تلاقي نصيبك مع شخص ناضج ومحترم، وتحبيه أوي كمان.

**ندى، في استنكار تام:**

- حب؟!! هو فين يا أمى الحب ده! أنا شايفة الحب الحقيقي هو حب الأم لأولادها.. لكن الحب التاني اختفى من الوجود؛ لأنه أصبح أنانية وعذابًا وتملكًا وتجارة للأسف...

**وتكمل ندى الحديث بكل جدية:**

- يا ماما دا كل الأطفال في المدرسة، أهاليهم مطلَّقين، وتعالي شوفي الخناقات والفضائح اللي بينهم، واللي بيعملوه في بعض، وفي أطفالهم – حاجة لا يصدقها عقل.. أنا مش فاهمة، إزاي بعد الحب بينهم، وبعد الإنجاب، تكون علاقة كراهية ومرارة وانتقام.. واللي بيدفع الثمن الأولاد، اللي بيضيعوا بين الأب والأم.

**وأردفت قائلة:**

- يا أمي.. الفلوس غيرت النفوس.. الأب بيجري علشان يجيب فلوس، ويهمل بيته ومراته وأولاده.. والأم تتعب وتربي وتشتغل لوحدها.. وبعد ما يكون الراجل غني؛ يروح يدور على واحدة صغيرة ويتزوجها، ويترك شريكة حياته هي وعيالها.. طبعًا الست دي واحدة مليانة مرارة من زوجها وعندها حق.. وخلت أولادها يكرهوا أبوهم، وعندها مليون حق.. ده مثل واحد بس. وفي أم تانية.، موظفة كبيرة في شركة عالمية – وهي تسخر من زوجها لأنها بتكسب أكتر منه – فلا احترام ولا تقدير؛ لأنها مش محتاجة منه حاجة.. وهي اللي بتدفع المصاريف كلها في المدرسة، وطلقت زوجها؛ لأنه سلبي وفاشل في نظرها.

**وتواصل ندى:**

- يا ماما.. تتصوري كمان، إن هناك أبًا جعل ابنه يوزع مخدرات ويبيعها في المدرسة، انتقامًا من زوجته؛ لأنها ناجحة جدًّا في شغلها، وأخذت منصب كبير عنه.. وللأسف أصبحت تعاير زوجها بأنها أذكى منه وأحسن منه. والثاني اللي بقى خَمُرْجي، وعلى طول سكران، وبيضرب أطفاله؛ لأن مراته هي اللي بتشتغل، وهو مش لاقي شغل، بالرغم من إنه كان الأول على الدفعة في الجامعة.

**.. ثم راحت، وهي في غاية التأثر، تكمل قائلةً:**

- وإحنا هنروح بعيد ليه.. ما عندنا مثال شريف أهو، بقى مدمن

مخدرات من غير أي سبب، غير دلع أمه وتربيته الغلط، والحمد لله ربنا نجَّاني وخلصت منه وخلعته.

**نرمين، وهي تؤكد ماقالته من قبل:**

- يا بنتي – الارتباط والزواج شيء مقدس، مش علشان الحب والمادة.. لكن علشان الست، بالرغم من شغلها الناجح وإمكانياتها الكثيرة.. عايزة حضن تريح عليه كل ليلة، وظهر تحس معاه بالحماية والأمان.. والراجل كمان – بعد كفاحه ومع حتى قلة إمكانياته - بيدوَّر على الدفء في العلاقة، وهما الاثنين يكون بينهم حب وحنان وتفاهم وتسامح.. المهم يكون في شراكة في كل شيء.

**ندى توضح فهمها لحديث أمها، قائلة:**

- يا أمي، أنا عارفة إن الوحدة صعبة.. ويا ريت كل المتزوجين يكونوا عايزين يسعدوا بعض، بدل استنزاف بعض.. لكن ألاقي فين الراجل اللي يحضني في قلبه.. أنا بعترف إني ضعيفة، رغم كل القوة، اللي بوريها ليوسف والأطفال في المدرسة والمجتمع كله- أنا فعلًا عايزة أنام في حضن راجل محترم، وبس... أنا كل اللي عايزاه حب وحنان.. ولا عايزة مال ولا جاه.. لكن فين يا أمي هذا الرجل؟!

**تصمت ندى برهة، ثم تستأنف حديثها قائلة:**

- خليني أركز على يوسف؛ علشان يكون هو الراجل المحترم لزوجة المستقبل.. وأنا باحاول أوصّل الرسالة دي لكل الأطفال اللي حيضيعوا، لو محدش علمهم إزاي يكونوا رجالة، ويكون عندهم شجاعة وحنان

والتزام في العمل.. وكمان البنات تكون عندها شطارة وحب وعطاء.. إنتي علمتيني كده وإنتي كده يا أمي – إدعي لي يا ماما، إني أقدر أوصل الرسالة دي؛ علشان ننقذ الأجيال اللي جاية من الضياع.. الأطفال دول هم شباب المستقبل، ولازم نرعاهم ونربيهم على الحب والاحترام والجدية في العمل.. وبالفن والموسيقى، باحاول أخليهم يستوعبوا حب الحياة والسعادة والفرح، ويارب تكون النتيجة زيجات ناجحة وأطفال سوية، بدل المأساة اللي إحنا بنشوفها كل يوم في المدرسة.

**نرمين ناظرة إلى ابنتها بكل عطف وإعجاب:**

- ربنا يكملك بعقلك يا بنتي، ويعوض تعب محبتك وقلبك وينصرك براجل يحبك كده.

**ندى، وهي تؤمن على دعاء الأم:**

- آمين يا أمي .. وربنا يعوضك إنتي كمان يا ماما .. إنتي كمان لسه صغيرة، وفي ستات في سنك، برضه منتظرين عدالة السماء وعريس الهنا.

**نرمين ضاحكة:**

- فعلًا ده حتى عمك رامز لسه مستني ردي.

**ندى، مؤكدة:**

- طبعًا يا ماما.. إنت ست حلوة ورياضية وذكية، وفيكي كل الصفات، اللي أي راجل محترم وقور يتمناها.

- يا رب أطمئن عليك إنت واخوك عادل وطبعًا حبيبي يوسف.. (ثم تضيف وهي ساخرة) وبعدين أشوف مستقبلي.. اتفقنا!!!!!

**تقترب نرمين من ندى، وتحضنها بشدة، وتقول لها:**

- حبيبة قلب أمك.. إنتي حياتي وحبي، وكل اللي بتمناه إن ربنا ينصرك ويحميكي، وتكوني أنجح فنانة وكمان عالمية.. وإن يوسف حبيبي يتفوق دائمًا في دراسته.. وأنا متأكدة إن ربنا حيعوضك بإنسان ممتاز ومخلص لكي، وعلى العموم، زي ما قلتي، مش كل السعادة في راجل!!!

وربنا يخلي عادل أخوك، ويوفقه في شغله الخطر ده ويحميه لشبابه، ويحمي كل الشباب اللي بيضحوا بعمرهم ونفسهم؛ علشان إحنا نعيش في أمان.

**يرن جرس الباب، فتذهب الخادمة لتفتح الباب، فإذا به «عادل».. يدخل عادل المنزل، فيتهلل وجهه بمجرد رؤية أمه وأخته، فيقبل عليهما بكل حماس، مبتسمًا، منشرح الملامح، قائلاً:**

- ماما – ندى – «أحمدك يا رب».. أنا جعان جدًّا، بس شكلنا كده حنأكل بيتزا..

**نرمين ضاحكة، وقد فهمت ما يقصده:**

- لا يا حبيبي.. إحنا كنا بندردش أنا وأختك شوية.. يلا الغذاء جاهز..

وتذهب نرمين للإشراف على تحضير المائدة، وإعطاء التعليمات للخادمة..

- يسأل عادل ندى: إيه الحكاية؟ إنتم كنتم بتقولوا إيه؟؟

**ندى بابتسامة خفيفة:**

- أبدًا يا أخويا يا حبيبي.. أنا بس ماما صعبانة عليّ أوي، وطول عمرها بتشتغل في المصنع، وبتتعب معانا وكمان مع يوسف ابني.. ودائما شايلة كل حاجة على كتفها، ونفسي أشوفها سعيدة وفرحانة، وتلاقي راجل حنين يشيلها ويعوضها ويسعدها.. بالذات، وإننا إحنا الاثنين كبرنا خلاص، وممكن نتقبل هذا الموضوع بقلب كبير، وترحيب شديد.

- يا ريت يا ندى.. ماما عملت اللي عليها وزيادة، وأنا في شغلي.. مش ضامن أعيش لكم أد إيه... أديكي شايفة أحوال العالم والبلد – والإرهاب والجريمة والشر والعنف، اللي موجود، وشغلي، ورسالتي في الحياة هي أن أحمي بلدي.. وفعلاً ممكن أموت في أي وقت.

**ندى، وقد ظهر عليها الخوف:**

- عادل، حرام عليك اللي بتقوله ده– كويس إن ماما مش سامعانا – وإلاّ كانت جاتلها سكتة قلبية!!

**عادل، موضحًا دافعه:**

- يا ندى، أنا واقعي وعارف بقول إيه.. هوا الواحد يطول يموت

شهيد – ياريت تشجعي ماما على الموضوع ده.. وفعلاً تلاقي راجل محترم ووقور، سند للعائلة دي.

**نرمين وهي تنادي عليهما:**

- الغدا جاهز يا أحلى هدية في حياتي.. ربنا يخليكوا ليا يا أولادي.. ياحبايب قلبي وعمري كله، وما يحرمنيش منكم أبدًا، ولا يحرم أي أم من أولادها.. الضنى غالي أوي يا ولاد.

**ندي تنظر إلى عادل في لوم وألم وعتاب، دون أن تنطق..**

**نرمين، وقد لفت ذلك انتباهها:**

- إيه الحكاية يا ندى.. مالك؟

**عادل يجيب مرتبكًا:**

- أصل أنا قلتلها إني عندي عريس هايل لها!!

**نرمين بنظرة جادة:**

- بس.. المرة دي، لازم أنا اللي أقول آخر كلام – لا أنت ولا ندى كفاية اللي شوفناه (كانت نرمين تلمح إلى زواج ندى الأول من شريف).

**نرمين وهي تقودهما إلى مائدة الطعام:**

- يا للا يا أولاد.. بسم الله بالهناء والشفاء.

**ندى تنادي على ابنها يوسف:**

- يا يوسف.. يوسف تعالى، الأكل جاهز.

**ويجتمع الكل على مائدة الطعام.**

* * * * *

تستمر الحياة بايقاع منتظم؛ فالسيدة **نرمين** تذهب إلى المصنع كل يوم، ثم تعود إلى المنزل لمباشرة ابنتها وحفيدها وابنها، الذي تعود دائمًا أن يكون في البيت معها في أيام أجازته من الشرطة.

تمضي وقتًا مع صديقتها أمل؛ لممارسة الرياضة في صالة الجيم..

في الصباح مبكرًا، تبدأ نرمين برنامجها اليومي قبل الذهاب إلى المصنع؛ فتكون في صالة الجيم مع صديقتها أمل، وهي سيدة مجتمع، متزوجة من د. حازم، الأستاذ الجامعي، الذي يحبها بشدة، ويقدس الحياة الزوجية، ولهما ٣ أبناء وأربعة أحفاد.

في صالة الجيم على ماكينة المشي، في لقاء معتاد بين نرمين وأمل، تبادرها نرمين بقولها:

- يا بنتي امشي أسرع من كده شوية.. الكابتن هييجي، ويهزئك!!

**ترد أمل عليها محتجة:**

- يا سلام!! هو أنا زيك.. رشيقة ورياضية.. ده أنا بأجي الجيم أصلاً علشان أشوفك وبس.. كويس أوي إني اشتركت، وأهو بحاول.. بجد بحاول أخس، وأكون حلوة زيك - يا قمر!!!!

**نرمين، تحادثها بعتاب:**

- يا بنتي.. ركزي بس وقللي الشيكولاتة شوية.. الحلويات كلها بجد، هي اللي وصلت الستات ورا الشمس.. خسارة وشهم حلو، ولكن جسمهم عايز شغل كتير، وبيأثر على كل حاجة في الشكل، وفي النفسية كمان..

**أمل، وقد اتسمت معالمها بالضحك:**

- الحلويات بس!! والمحشي (بابتسامة عريضة) يا حبيبتي.

**يصل الكابتن مصطفى إلى حيث تتدرب نرمين وأمل، فتبادرانه بالتحية:**

**نرمين وأمل (معًا في صوت واحد):**

- أهلاً يا كابتن!!

**كابتن مصطفى:**

- إحنا فين من أسبوع!! عايزين نعوض من فضلكم..

تسخين مشي سريع لمدة ٢٠ دقيقة.

**أمل، محاولة الإجابة:**

- يعني كنا فين؟؟ مشاغل الحياة العادية ياكابتن!!

- ماشي.. عمومًا، النهاردة حنركز على عضلات الكتف؛ علشان يكون الظهر مفرود - حديد - هنشيل حديد!!

**أمل:**

- يا كابتن – ممكن بس أفكرك بحاجة مهمة جدًّا، لازم حضرتك تأخد بالك منها!

**الكابتن:**

- اتفضلي حضرتك.. إيه الحاجة المهمة دي!!

**أمل:**

- يا كابتن.. أنا وصديقتي العزيزة نرمين هانم فوق ٣٠ سنة – وكل اللي في الجيم هنا عيال صغيرة، وعندهم حيل وصحة!!

**الكابتن:**

- أيوه يا فندم.. ممكن اللي فوق ٣٠ سنة يعملوا التمرين ده بسهولة!

**أمل، في لهجة كوميدية:**

- طيب يا كابتن، واللي فوق الـ ٤٠ سنة، ممكن برضو!!

**الكابتن، مؤكدًا:**

- طبعًا يا فندم.. شوفي نرمين هانم شاطرة جدًّا، وبتعمل إزاي التمارين كلها، من غير كلام ولا فصال!!

**نرمين، وهي تحثها على الصمت:**

- يا بنتي فضحتينا.. إتمرني وإنتي ساكتة!!

**أمل، وهي تنظر إلى نرمين:**

- طيب يا كابتن، ولو قلت لحضرتك إن أنا ونرمين فوق الخمسين، حتعمل إيه؟؟ مش برضو، التمرين يخف شوية، لأن فيه عمر افتراضي لكل أعضاء الجسم والعضلات؟؟

**الكابتن:**

- بالعكس يا أمل هانم.. العضلات ممكن نفقدها أو تضمر، إذا لم نستخدمها! يا مدام أمل ركزى معايا ومع مدام نرمين، ولا تنظري لأي سن!! إنتى لسه شباب..

**أمل، مفسرة دوافعها:**

- أنا بس بحب أقول الحقيقة وبس.. أصل إحنا الاثنين بنبان أصغر بكتير من سننا الحقيقي، وساعات الشباب هنا بيعاكسونا!!

**ينظر الكابتن إلى نرمين هانم بإعجاب، ويقول:**

- طبعًا لازم تتعاكسوا!! أصل محدش يصدق أبدًا إن أنتم فوق الخمسين.. دي معجزة.. ثم يشير إليها بمعاودة القيام بالتمرين من جديد..

**فتستوقفه أمل قائلة:**

- بقولك إيه يا كابتن.. أنت الوحيد اللي بتكلم معاه بصراحة، وبقول له أسراري.. أنا عديت ال٥٥ سنة، شوف بقه حتعمل معايا إيه!؟

**نرمين، تحادث الكابتن:**

- إحنا نفس السن يا كابتن، وبنطلب الرحمة!!

**أمل:**

- اسكتي إنتي يا نرمين.. مش عايزة تريقة، إنتي طول عمرك رياضية وأروبة.. عرفتي تحافظي على جسمك ورشاقتك.. لكن بقية البنات كانت بتضيع وقتها في هبل وسينما ووشوشة وحركات، يا ريتني كنت سمعت كلامك!!

**نرمين، مذكرة إياها:**

-... وكمان ما تنسيش المحشي والبطاطس والبسبوسة يا حبيبتي.

**أمل، ناظرة إلى الكابتن:**

- شايف يا كابتن الظلم؟؟

**أمل تنتحي بـ «نرمين» جانبًا، وتقول لها بكل سذاجة:**

- إنتي يا نرمين ما أخدتيش حبوب منع حمل، اللي بوظت أجسام كل الستات ولعبت في هرموناتهم.. أنا نفسي الرجالة تأخد حاجة وتريحنا!!

**نرمين، تواسيها قائلةً:**

- معلش يا صديقتي العزيزة، أصل أنا ملحقتش أخد حاجة؛ لأن رفعت اتوفَّى، بعد ولادة ندى على طول.

**أمل، وهي تشعر بالخجل:**

- أنا آسفة يا نرمين.. مش قصدي، أنا بس بأحقد عليك علشان جسمك موديل!

**نرمين، مبتسمة:**

- ياللا نلعب أحسن.

* * * * *

# الفصل الثاني
# المُدرسة.. ود. نزار

يتأمل د. نزار ندى وأسلوبها الراقي وتعاملها مع طاقم العاملين وزملائها من هيئة التدريس. ويقرر زيارتها في فصلها، أثناء درس الموسيقى، وهي تغني مع التلاميذ، أثناء تدربهم على الحفل نصف السنوي للمدرسة في المسرح..

**د. نزار:**

- براڤو يا ميس ندى.. أشعر بأن هناك تحسنًا كبيرًا في أداء الطلبة.. أنا حاسس إن أصواتهم أصبحت أحلى، وأكثر دقة بكتير.. أنا مبهور جدًّا بالأداء ده.. براڤو براڤو عليكي!!!

**ندى مبتسمة:**

- بنحاول يا دكتور.. هم متجاوبين معايا علشان الحفلة حافز لهم.. وأنا في الحقيقة وعدتهم؛ إننا كلنا حنسافر أوروبا، لو فزنا في مسابقة آخر السنة.

**د. نزار في إطراء واضح:**

- إنتي بتتعبي قوي، وبتعملي مجهود رائع.. أنا مش مصدق اللي

شايفه مع العفاريت دول.. حتى كريم، بدأ يغني بطلاقة في البيت وضابط النوتة كويس أوي.

**ندى بامتنان:**

- أنا بأشكر حضرتك على تشجيعك يا دكتور.. بس حضرتك تعبت أوي النهارده مع التلامذة ومتابعة الأهالي كمان.

**د. نزار، مؤكدًا تقديره لها:**

- عارفة يا ميس ندى... أنا حاسس.. بل متأكد إن الموسيقى حتفرق جدًّا في حياة الأطفال دول؛ لأن مرحلة الابتدائي هي أهم مرحلة في تشكيل شخصية الإنسان وطباعه..

**ندى، مؤكدة ما قاله الدكتور:**

- صح ١٠٠ ٪ يا دكتور.. زي المثل بالضبط "التعليم في الصغر - زي النقش على الحجر، والتعليم في الكبر زي النقش على الماء".

تستمر ندى في محاولة اعتبار الموسيقى كمادة أساسية في المدرسة؛ للارتقاء بنفسية الطلبة وذوقهم.. ويستمر الدكتور نزار في تشجيع ندى والاستجابة لكل مطالبها الفنية، سواء كانت أدوات موسيقية، أو فصولاً إضافية للعزف والغناء.

والمهندس الدكتور نزار متزوج من فتاة من الإسكندرية، اسمها "**عهد**" تصغره بحوالي ١٥ سنة، وله منها ابن، اسمه "**كريم**" البالغ من العمر ٩ سنوات، وهو مع **يوسف** في المرحلة الدراسية نفسها،

والفصل نفسه، وهما صديقان يجتمعان دائمًا حول الموسيقى، ويعشقان ميس ندى.. يرتبط كريم بحب يوسف، ويرافقه دائمًا في وقت الفسحة والدراسة والرحلات.

إلا أن الدكتور "نزار" يعيش حياة تعيسة مع زوجته، أم ابنه، السيدة "**عهد**"، التي تنغص عليه حياته كل يوم بأنانية مفرطة، وسلوك جارح لزوجها المحترم، وتذكره دائمًا بفارق السن بينهما، وأنها في غاية الجمال.. وأنه كان لابد عليه أن يدفع كثيرًا من أمواله؛ ليعوضها عن شبابها، وتركها لأهلها بالإسكندرية؛ لتعيش معه في القاهرة وزحامها الشديد..

كان هذا الجفاء السبب الرئيسي في أن "**كريم**" لم يكن له أخوات؛ لان الحياة بين د. نزار وزوجته عهد، هى علاقة دون حب ومليئة بالماديات، وإشباع رغبات "**عهد**" في حياة كلها حفلات وهدايا ومظاهر سطحية. ورغم ذلك، يستمر نزار في العيش مع عهد؛ لأجل ابنه **كريم**، الذي يعتبره أهم نعمة وهدية في حياته، ويكرس نفسه له وللمدرسة والمدرسين والطلبة.

* * * * *

يصل د. نزار؛ إلى بيته، ويفتح الباب فيجد "عهد" جالسة في الصالون، تبادره بقولها:

- حمد الله على السلامة.. من أولها كده، حيكون كل يوم تأخير!! إيه الحكاية.. هو فيه جديد في المدرسة!!

**يرد نزار، محاولاً تفادي الحديث وعدم إثارة مشكلات:**

- ما فيش جديد.. إحنا بنحضر لبداية السنة الدراسية!

**عهد ساخرة:**

- أصل أنا شايفاك مبسوط أوي، ومنور الأيام دي...

**نزار، وهو يحاول أن يتفادى أي سوء تفاهم:**

- تصبحين على خير يا عهد.. تصبح على خير يا كريم.

مرت بضعة أسابيع، كان د. نزار خلالها يراقب "ندى" وأداءها في المدرسة.. حازت ندى إعجاب د. نزار بقوة شخصيتها وفنها الراقي الجميل، وراح يشجعها على المواصلة في مشوارها الفني الخاص، وتعليمها الموسيقى للأطفال.

وتدريجيًّا، صار نزار ينجذب إليها، ويحاول دائمًا أن يكون معها، وتطور هذا الإعجاب إلى مرحلة الحب من طرف واحد، وكان د. نزار يصبح في حالة نشوة وحب، سعيدًا بهذا الحب دون أمل، وهو يفكر دائمًا في أن الحب، بدون أمل، أقوى وأسمى حب في الوجود.

لم تكد تشعر زوجته "**عهد**" بهذه السعادة والتغيير، اللذين طرأ على زوجها، حتى تلتهب مشاعر الغيرة والمرارة بداخلها، وتقرر مراقبة د. نزار في المدرسة؛ لتكتشف سبب هذا التغيير الإيجابي والجميل في حياة زوجها..

وتتسبب عهد -بغيرتها العمياء- في إحراج شديد لـ "د. نزار" مع

العاملين والمدرسين في المدرسة؛ إذ قررت أن تزور المدرسة وتبحث عنه فى مكتبه، فلا تجده..

تذهب"**عهد**" إلى بقية الأماكن إلى أن تصل أمام حجرة الموسيقى، وتفاجئ بوجود ندى مع كريم ويوسف، وهما يتدربان على أغنية جديدة اسمها **"نفسي أغني"، من تأليف وتلحين الفنانة داليا فريد.**

**ويرى كريم والدته أمام باب حجرة الموسيقى، فيسرع نحوها، قائلاً لها:**

- مامي.. تعالي اسمعيني، وأنا بغني مع يوسف.

**تسأل عهد باستنكار شديد:**

- مين يوسف؟

**ثم تنظر إلى ندى نظرة غير ودية، وتتساءل ساخرة مرة أخرى:**

- ومين الـمُدرسة دي – بتاعة المغنى؟!

فى تلك اللحظة، يصل د. نزار، وهو في غاية الأناقة والسعادة بلقاء ندى، ويفاجأ بوجود عهد في الفصل، وتظهر على وجهه ملامح الدهشة والقلق.. وتنظر إليه زوجته عهد بريبة شديدة، وتقول:

- إيه يا نزار.. مالك، شفت عفريت، أنا أم ابنك كريم – واضح إن الولد وأبوه مبسوطين أوي من درس الموسيقى والمغنى.

**نزار بتحفظ:**

- أهلاً يا عهد.. فعلاً كريم صوته بقى جميل أوي..

**عهد، بصوت تملؤه السخرية:**

- براڤو يا كريم.. ده بابا كمان، حيغني قريب أوي..

**نزار (بصوت هامس):**

- من فضلك يا عهد، بلاش الكلام ده هنا!!

**عهد، مواصلة سخريتها:**

- أي كلام ده يا دكتور!! ما هي باينة زي الشمس من نظراتك للـمُدرسة.. أنت مالك كده بقيت مرة واحدة رومانسي وفنان وكمان مطرب!!!

عهد تغادر المدرسة، وهي في غاية الغضب.

تنظر ندى إلى د. نزار بكل أسف وشفقة...

ولكن في الوقت نفسه، تشعر ندى في قرارة نفسها بالسعادة الداخلية، التي تؤكد لها أن د.نزار يحمل تجاهها إعزازًا خاصًّا وإعجابًا ملحوظًا، وأنه يعيش حياة زوجية تعيسة وفاشلة، وأن زوجته "عهد" هى مجرد أم لابنه كريم، ليس أكثر.

ينسحب د. نزار بهدوء من الفصل، بعد مغادرة عهد، ليذهب إلى مكتبه، وهو في غاية الحزن والاستياء..

يقرر د. نزار أن يزور والدته ووالده في منزلهما؛ لأنه في هذه الحالة على وجه الخصوص، يستشعر فقدان حنان والدته، الذي يفتقده كل يوم بالأخص هذا اليوم.

في منزل والد ووالدة د. نزار.. حيث يجلس نزار معهما، بدأ حواره التالي معهما..

**قال نزار لوالدته متلهفًا:**

- وحشتيني يا أمي.. مش لاحق أجيلك زي زمان، المدرسة واخدة كل وقتي.. سامحيني.

كان نزار يحاول أن يخفى ضيقه ومرارة نفسه.

**والد نزار ملمحًا إلى تأثير زوجته السلبي:**

- يا ابني كتر خيرك..

إحنا عارفين ظروفك، بس مش المدرسة وحدها اللي حايشاك عنّا.. ولا إيه؟!

**نزار، مقرًا بما أشار إليه والده:**

- إنتوا عارفين كل حاجة، وعارفين كمان أهم حاجة!

**الوالدة، بشيء من الموافقة:**

- أيوه يا ابني.. كريم هو كل حياتك، بس أنا نفسي أشوفك سعيد..

**نزار، ساخطًا:**

- تصوري يا أمي.. عهد جت المدرسة، وهزأت ندى، مدرسة الموسيقى، بطريقة غبية وحقيرة.

**الوالدة توجه الكلام لـ "نزار"، وهي تنظر إليه نظرة مليئة بالحزن على ابنها الوحيد، ولكن بإصرار شديد على تشجيعه، وتقول:**

- طلِق عهد يا نزار.. إنت مش حتقدر عليها، وعلى النكد اليومي اللي بتسببهولك..

**نزار مفسرًا:**

- يا ماما.. معظم الأطفال في المدرسة أهاليهم مطلقة..

هو فيه إيه في المجتمع؟ أنا خايف يكون الطلاق أكثر من الزواج في الزمن ده!!

**الوالدة، مواصلة تأكيد طلبها:**

- ما حدش بيستحمل حد.. الرجالة والستات بقوا كل واحد في ناحية..

تحاول والدته إقناع نزار بالارتباط بإنسانة أخرى؛ لأنها تراه تعيسًا في حياته مع زوجته عهد.. ولكن " نزار" يرفض هذا الاقتراح؛ لانه إن ارتبط، فسوف يفكر في ندى، ولكنه يكبرها بحوالى ٢٠ سنة.. بالإضافة إلى أنه لا يريد أن يتعرض ابنه يوسف، لما يتعرض له معظم أبناء وتلاميذ المدرسة من تصادمات وفضائح بين الأب والأم، التي لا تنتهي في المدرسة أمام كل الأطفال.

**بعد صمت قليل، قالت الأم:**

- أنت لازم تتجوز واحدة تريحك، وتكون بتحب كريم – دي أهم حاجة.. ولو المدرسة دي مناسبة زي ما بتقول، إتجوزها يا ابني وعيش حياتك سعيد.

**نزار، مؤكدًا:**

- فعلاً، ندى إنسانة ممتازة، وأنا بشعر بسعادة طول ما أنا معاها، وهي بتحب كريم جدًّا – بس أصغر مني بكتير، ولا يمكن أغلط نفس غلطتي مع عهد!!

**الوالدة، مواصلة محاولتها:**

- يا ابني مش كل البنات زي بعض.. أنت لازم تحاول وتفكر في نفسك شوية!!

**نزار:**

- إدعيلي يا أمي، إن ربنا يعمل اللي فيه الخير لينا كلنا.

**الوالدة مبتسمة:**

- يا ابني... أنا وأبوك راضيين عليك، وربنا معاك.

يغادر نزار منزل عائلته، ولكنه فى قرارة نفسه يريد أن يضحي بسعادته؛ من أجل ابنه كريم؛ لانه كان يرى دائمًا تأثير الطلاق على انحراف الاطفال الأخلاقي، والعنف، والتدليل، واللامبالاة في كل شيء، فكان يرى أن ضياع نفسية هؤلاء الأطفال يعتبر ضياعًا للحاضر والمستقبل.

* * * * *

**في اليوم التالي...**

يصل د. نزار إلى المدرسة صباحًا، ويرسل في طلب ميس ندى..

**عندما وصلت ندى، بادرها د. نزار قائلاً:**

- انا بعتذر بشدة على اللي حصل من زوجتي عهد.. أنتِ عارفة الستات لما يغيروا على أزواجهم.

**ندى بابتسامة:**

- طبعًا.. مفيش حاجة يا دكتور، هي برضة خايفة على زوجها، وحضرتك راجل أي ست تتمناه.

**نزار، بنظرة حب وسعادة:**

- أشكرك يا ندى، وإنتي كمان أي راجل يتمنى تراب رجليك.

وتستمر العلاقة بكل احترام وتفانٍ في العمل، وكان نزار يحن إلى ندى دائمًا، ويشجعها على كل مشروعاتها في المدرسة؛ خاصة مشروع الاستعراضات الفنية، التي تضم أكبر عدد من التلاميذ؛ لأنه - قبل كل شيء - يعشق الفن والشعر.

ومن خلال كل الاجتماعات والمناقشات حول مستقبل هؤلاء الأطفال، والمناهج الفنية التي تبث روح المحبة والتسامح، وروح الفريق، تجد ندى دائمًا مساندة الدكتور نزار لها في تحقيق كل ما تريد، وفي تذليل أي معوقات أو مضايقات، تعوق مشروعاتها مع الأطفال.

كانت ندى تشارك أمها فى كل ما تراه وتقابله في المدرسة، وتدور بينهما مناقشات عميقة، لدرجة أن الأم نرمين تشعر بأنها تعرف كل شيء عن الأطفال والمدرسة بصفة عامة، وعن الدكتور نزار بصفة خاصة.

وفي صباح يوم دراسي، يذهب د. نزار إلى مكتبه...

بعد لحظات، يستمع د. نزار إلى ضجيج ومناقشات، بصوت عالٍ..

**كانت ندى، في ترقب وقلق شديد، تتصل بأخيها المقدم عادل:**

- الحقني يا عادل.. كارثة - تعالى بسرعة، شريف هنا وعامل فضايح!!

**عادل، مطمئنًا إياها:**

- متخافيش، أنا جاي حالاً ومعايا البوكس.

إنه شريف طليق ندى.. جاء لزيارة ابنه **يوسف** في المدرسة.. يعلو صوت شريف في ساحة المدرسة، ويحدث أن يدفع شريف أحد رجال الأمن بقبضة شديدة، فيوقعه على الأرض ويصيبه إصابة كبيرة في رأسه ولكنها سطحية.. فكان شريف لا يزال واقعًا تحت تأثير إدمانه.. يتحدث بتلعثم وينظر شزرًا إلى الجميع، ويبحث - بأسلوب غير حضاري عن ابنه..

لاحظ د. نزار ذلك، وطلب التدخل، فعرف أن «شريف» هو طليق ندى، والد يوسف، ويطلب منه أن يذهب معه إلى مكتبه للتفاهم بالهدوء، دون أن يجرح مشاعر ندى ويوسف الصغير.

**في مكتب نزار.. جلس شريف قبالة نزار ليتحدثا معًا.. بادر نزار بالقول:**

- أهلاً وسهلاً شريف بك - اتفضل..

- مش معقول، علشان أشوف ابني، لازم أجيب البوليس..

**يصل عادل، وهو في قمة الغضب، ويقابل شريف في مكتب نزار.. فيقول له مُحتدًّا:**

- أنت دايمًا عامل فضائح.... ليه ما اتصلتش الأول؟

**شريف، بصوت عال:**

- مش لازم أخذ إذن منك، علشان أشوف ابني.

**عادل، في صوت غاضب:**

- أنت مش راجل.. ولا أنت أب.. أنت مجنون!!

**د.نزار متدخلاً بهدوء:**

- اسمحوا لي أن أتدخل.. أنا د. نزار، مدير المدرسة.

**عادل معتذرًا:**

- أنا أسف جدًّا يا دكتور على كل اللخبطة دي.. أنا عادل أخو ندى، وهي كلمتني كتير عن حضرتك.

**نزار بكل سعادة:**

- أهلاً عادل بك.. تفضل استريح، وخلينا نتكلم بهدوء مع شريف بك؛ علشان خاطر الأولاد.

كان هذا اللقاء هو الأول بين **عادل ونزار وشريف.**

استقبل نزار "عادل" بكل احترام ومودة، وقام بدور الحكيم، في محاولة لإصلاح ما فسد من علاقات بين شريف وعادل وندى، مؤكدًا أن الاحترام المتبادل هو أهم شيء لمصلحة الابن يوسف.

هكذا.. رأى نزار مشكلة ندى متجسدة أمامه، وعرف المأساة التي عاشتها مع زوجها السابق شريف؛ خاصة أنه كان في حالة غضب، وكانت علامات الإدمان بادية عليه، وكذلك الضعف والعنف في آن واحد.

**شريف، وهو لا يزال غاضبًا:**

- أنا عايز أشوف ابني – وحشني!!

**نزار مهدئًا إياه:**

- طبعًا، شريف بك، حتشوف ابنك.. بس في الفسحة.

يلاحظ نزار أن "شريف" ليس في حالته الطبيعية، وإنما هو في حالة إدمان مخدرات..

**يبادر عادل بالقول:**

- يا د. نزار – هو مش صح ابنه يشوفه أصلاً.. شايف أبوه شكله عامل إيه؟؟

**شريف معترضًا:**

- أنا زي الفل، وأنت مالك بي أصلاً؟!

**د. نزار بصوت هادئ:**

- صدقني يا شريف بك – أنت ممكن تستريح، وأنا أوعدك بأني أجيب يوسف لحضرتك في خلال ٢٤ ساعة؛ لأنه من الواضح فعلاً إنك مجهد، وتريد أن تأخذ حمامًا ساخنًا، وتكون في أحسن صورك؛ علشان يوسف يكون سعيد بلقائك.

يقتنع شريف بكلام نزار، ويترك المدرسة، في هدوء وسلام.

تنظر ندى من أعلى الشباك في الفصل.. وهي تراقب كل الذي حدث..

**بينما يستمر الحوار بين عادل ونزار؛ إذ قال له عادل:**

- أشكرك يا دكتور – إنت خلتني أتجنب خناقة كبيرة، كنت حدخّل فيها الشرطة.

**د. نزار:**

- أعتقد يا عادل بك إن الأستاذ شريف محتاج علاج بجد!!

- أنا حزين على أختي ندى وابنها يوسف!

- ندى إنسانة ممتازة ومخلصة في كل شيء، وأنا متأكد إن ربنا هيعوضها بكل خير.

- أنا آسف مرة ثانية يا دكتور على كل اللي حصل.. بس أنا اتشرفت بمقابلتك، وبأشكرك جدًّا على كل شيء.

**نزار متهللاً:**

- لا شكر على واجب..

أنا سعيد جدًّا إني أتقابل مع المقدم عادل.. أنت من الشباب اللي بيضحوا براحتهم؛ علشان إحنا نكون في أمان وراحة بال.

* * * * *

**كانت المشرفة فايزة تجلس في صالة انتظار المدرسين، مع ندى التي لم تكن على ما يرام؛ نتيجة زيارة طليقها للمدرسة.**

**قالت المشرفة:**

- يا بنتي يا ندى، الله يكون في عونك – طليقك دا عصبي أوي.. ربنا معاكي.

**قالت ندى، وهي في حالة حزن شديدة، تحكي عن شريف:**

- عارفة يا مدام فايزة - شريف ده كان أشطر وأنجح وأطيب واحد في الجامعة..

كان بطل الجامعة في التنس، وكان كل الطلبة بتحسده على نشاطه وتفوقه!!

**المشرفة مندهشة:**

- وإيه اللي حصل، إطلقتوا ليه؟

**ندى، وهي شاردة:**

- كانت أجمل قصة حب بينا.. اتعرفت عليه في محاضرة مادة الاقتصاد.. وكان أشطر واحد، وأنا مليش خالص في الأرقام والاقتصاد؛ لأني كنت أدبي، وكنت عايزة أدرس آداب فرنسي.. لكن قلت أجرب الجامعة الأمريكية؛ لأن مجموعي كان كبير في الثانوية العامة!!....

**سألتها المشرفة في إنصات شديد:**

- وبعدين إيه اللي حصل؟

**ندى، وهي تسترجع الأحداث:**

- طبعًا.. بان عليا إني مش فاهمة حاجة من الأستاذ، وعرض شريف عليا متطوعًا إنه يشرح لي بعد المحاضرة.. كان شاطر قوي يا مدام فايزة، وكان هادي وجميل ومحترم.. وبدأت أعجب به، وهو كمان، وكان دايمًا بيشجعني أكمل مشواري في الموسيقى والفن والغناء، وكان دائمًا عطوفًا وحنين عليا؛ لأني كنت لسه صغيرة، ومن غير أب؛ لأن والدي توفى، وأنا صغيرة، وكان دائمًا عندي احتياج لصورة أب، يعلمني ويهتم بي.

**المشرفة:**

- هي الوالدة تزوجت بعد وفاة والدك؟!

- بالعكس.. أمي سيدة عظيمة، وهبت حياتها لي ولأخويا، وكملت مشوار والدي في المصنع.. وتولت كل شيء بجدية وجدارة؛

علشان نعيش في المستوى نفسه، اللي اتعودنا عليه.. ورغم إنها كانت شابة صغيرة وجميلة وعازفة بيانو عظيمة، وصوتها سوبرانو.. إلا أنها ضحت بكل ذلك من أجلي أنا وأخويا عادل..

**تضحك ندى ثم تكمل:**

- أنا صوتي طالع حلو وراثة عن أمي.. وكمان حبيت الموسيقى منها؛ لأن دائمًا كنا نقعد أنا وأخويا، بعد الشغل نسمع ماما، وهي بتغني على عزف البيانو.

**سألتها المشرفة مجددًا:**

- طيب إيه اللي حصل مع طليقك؟

**ندى، مع تنهيدة خفيفة:**

- شريف من عائلة كبيرة وغنية جدًّا، وكانت عليه العين دائما؛ لأنه وريث أبوه، وهو ولد على أختين.. وطبعًا والدته كانت بتدلعه أوي، وطبعًا أصدقاء السوء عملوا كل شيء؛ علشان يستفيدوا منه.

**المشرفة مؤكدة:**

- طبعًا يا بنتي.. الناس بقت متوحشة، وبتبيع نفسها علشان الفلوس!!

**ندى مستكملة:**

- إحنا حبينا بعض أوي.. حتى بعد ما اتنقلت لجامعة القاهرة، كلية آداب فرنسي؛ لأني مقدرتش أكمل في الجامعة الأمريكية.. شريف

كان رومانسي جدًّا. عزمني على العشاء في أحلى وأشيك مطعم - حجز المكان كله علشان نكون لوحدنا.. قدم لي هدية من الياقوت الحر، وقال لي "إنتي أحلى نعمة وجوهرة في حياتي، وأتمنى إنك تقبلي تكوني شريكة حياتي العمر كله "ومسك إيدي وقبلها.. وبعدها رقصنا على أنغام موسيقى فيلم "قصة حب".. كانت أحلى ليلة في حياتي.

**تستمع المشرفة بكل اهتمام وتتنهد لتقول:**

- أمال ليه بقى كده،

**تتكلم ندى بكل حزن، وتنظر إلى مدام فايزة لترد على سؤالها قائلة:**

- أنا مش عارفة ليه حصل كده - ليه راح للمخدرات - ليه ساب كل حاجة حلوة بينا، وفضل المزاج الزائف (وتبدأ تبكي في صمت)، يا ريت أعرف ليه عمل كده!

**تسألها مدام فايزة المشرفة:**

- إنتي لسه بتحبيه؟

**تتفاجأ ندى بهذا السؤال، وتقول:**

- مش عارفة.. أنا بين الذكريات الجميلة والحب العظيم، اللي كان بينا وبين اللي حصل بسب المخدرات، وخلى الحب ضاع وانجرح، وراح وسط زحمة العنف والقسوة، اللي شفتها منه فى كل مرة، بيكون فيها تحت تأثير السم، اللي كان بيأخذه أو بيدور عليه، وبيفضَّله على أي حد مش بس حبه ومراته.. لكن ابنه اللي كان حياته!!

**المشرفه بتأسٍ:**

- يا عيني عليكِ يا بنتي.. ده إنتي عشتي مرارة الحب والعذاب مع بعض!!

**ندى، مؤكدة:**

- فعلاً دي حقيقة.. لكن ربنا عوضني في يوسف حبيبي، هو برضه ابن شريف، اللي كان كل حياتي في يوم من الأيام!

**المشرفة، بنوع من التمني:**

- يمكن يا ندى ربنا يعمل معاه معجزة، ويرجع تاني شريف بتاع زمان.

**ندى، وقد ظهرت نبرة اليأس في صوتها:**

- مفيش حاجة صعبة على ربنا.. لكن المهم إن إحنا يكون عندنا استعداد، وأنا شايفه إن شريف خلاص - الإدمان ضيَّعه، وضيع كل حاجة حلوة بينا.

تنتهي المناقشة عندما تشاهدان، من شرفة صالة الانتظار، خروج شريف من باب المدرسة ومعه د. نزار، وهو يسلم عليه بكل احترام وهدوء.

**تترك ندى صالة المدرسين؛ لتذهب إلى مكتب د. نزار؛ لتقابل عادل.**

**تسأل ندى بقلق شديد:**

- عادل أخويا - الموضوع خلص!!

**عادل، مبتسمًا:**

- البركة في د. نزار، هو اللي أقنع شريف بالرحيل.. ده حتى قاله خذ حمام دافئ، وكن مستعدًا إن ابنك يشوفك في أحسن حال.

**تنظر ندى إلى نزار بكل حب واحترام وامتنان، ثم تقول:**

- الله يكون في عون د. نزار.. هو حيلاحق على مشكلات التلاميذ وأهاليهم، ولا على مشكلات المدرسين كمان!!

**يجيب نزار بكل سعادة:**

- يا ميس ندى.. الخبرة خلتنا نقدر نحل المشكلات دي، والحمد لله.

**يجيب عادل مؤكدًا:**

- يا د. نزار.. أنا فعلاً اتشرفت بمعرفة حضرتك.. كلام ندى أقل كتير عن الحقيقة.

**نزار مبتهجًا:**

- ده شعور متبادل عادل بك.. وإن شاء الله حيكون فيه مناسبات قريبة للتعارف أكثر.. ودلوقتي أنا شايف إنك تأخذ أختك ميس ندى، وكمان يوسف، على البيت.

**عادل:**

- تمام يا دكتور.. أنا فعلاً متأكد إن ندى تفضَّل تروح.

**ندى مبتسمة:**

- متشكرة أوي يا دكتور.. أنا ويوسف نحب نكون في البيت دلوقتي.

**عادل محييًا د. نزار:**

- مع ألف سلامة، وإلى لقاء قريب إن شاء الله.

**نزار مسلمًا على عادل بحفاوة:**

- بكل سرور.

وفي السيارة.. في طريقهم إلى المنزل، بعد أن ترك كل منهما انطباعًا إيجابيًّا جميلاً عند الآخر، يعلق عادل لأخته ندى عن هذا اللقاء، قائلاً:

- دكتور نزار شخصية محترمة وذكية، وأنسب شخصية ليكون وزير تعليم في مصر؛ لأنه يمزج التربية والتعليم معًا في صورة واقعية ومشرفة.

**ندى، مؤكدة:**

- يا ريت يا عادل الحكومة تعمل كده.. بس تفتكر هو يوافق!!

******

# الفصل الثالث
# نزار... في بيتنا

تمر الأحداث، ويستمر الروتين اليومي إلى أن تتعرض ندى لنزلة برد شديدة، وتضطر إلى أن تلازم الفراش لمدة ثلاثة أسابيع، بناءً على طلب الطبيب المعالج؛ الأمر الذي يعتبر كارثة بالنسبة لندى.

عندما استيقظت **نرمين هانم**، ذهبت مباشرة إلى حجرة ابنتها تطمئن عليها:

- صباح الخير يا ندى.... عاملة إيه النهاردة؟!

- ماما.. أنا تعبانة أوي يا ماما..

وشكل الدور ده حياخد، على الأقل، شهر زي ما قال الدكتور محسن.

- إنتي أصلك يا ندى تعبتي أوي الفترة الأخيرة في المدرسة.

**ثم أضافت ضاحكة:**

– د. نزار كان واخذ كل وقتك.

- يا ماما إنتي شقية.. أنا فعلاً أكن كل حب واحترام للدكتور نزار..

بس بجد الشغل كان كتير أوي، والتلاميذ محتاجة مجهود جبار.

- على كل حال لازم تقعدي في البيت، وما فيش مدرسة.. وحاولي تبعدي عن يوسف من فضلك.

- حاضر يا أمي - بس من فضلك – قولي لعادل يروح بكره إلى المدرسة، ومعه طلب أجازة مرضي ليقدمها لـ "د. نزار".

- أوك يا حبيبتي..

نامي إنتي وارتاحي، وكل شيء هيكون تمام!

تغلق نرمين غرفة ندى، وتجلس على البيانو، الذي كان دائمًا منبع راحة واسترخاء لها، وتبدأ تعزف مقطوعة "أنت عمري" للموسيقار محمد عبد الوهاب.

تتغيب ندى عن المدرسة، ويتساءل الكل عن سبب غيابها، وأولهم د.نزار، الذي يظهر عليه القلق والحزن من أن ندى غير متواجدة، ويتحدث مع مشرفة المدرسة في هذا الصدد.. قال لها:

- المدرسة وحشة قوي من غير ميس ندى، ونشاطها الجميل مع الأولاد..

**يصمت برهة ثم يردد مضحكًا:**

– جميل بس متعب طبعًا.

**المشرفة:**

- فعلاً يا دكتور.. ندى مدرسة هايلة، ولها مستقبل ممتاز، حتى

يوسف ابنها، ولد جميل أوي، غير بقية الأولاد العفاريت اللي عندنا..

- أنا شايف إن ابني كريم بيحب يوسف أوي، وإنهم على طول مع بعض.. أظن إن يوسف وحيد زي كريم!!

**المشرفة، مؤكدة:**

- للأسف، صح – أصل ندى مطلقة، وعندها يوسف بس..

**ويغير د. نزار اتجاه المناقشة ليقول:**

- أعتقد إننا لازم نجمع الأساتذة، ونروح نزور ندى في البيت، علشان نطمئن عليها، وكمان تحس إننا معاها.

**المشرفة، مؤكدة:**

- يا ريت يا دكتور.. خليني اسأل الزملاء!

يتوجه د.نزار إلى مكتبه وعقله شارد، ومتردد في أن يذهب هو أولاً بمفرده؛ ليزور ندى؛ بحجة استئذانها لاستقبال زيارة جماعية لها..

يبتسم د. نزار في قرارة نفسه، ويأخذ هذا القرار الصعب؛ لينطلق بسيارته إلى منزل ندى، إلى أن يقترب من باب مدخل المنزل.. وعندها يسمع البيانو وموسيقى "أنت عمري"، يظن أنها ندى، وأنها شفيت من مرضها..

يرن جرس الباب في منزل ندى، مستبشرًا، وهو في غاية السعادة؛ لأنه سوف يرى ندى، ولكن كانت المفاجأة.. نرمين هانم أمامه لتفتح الباب.

**نرمين هانم:**

- أهلًا وسهلًا – حضرتك د. نزار؟!

يندهش نزار من جمال وأناقة ورقي وذكاء نرمين هانم، ويجيب محاولاً أن يتحكم في إحساسه اللحظي بهذا الانبهار، ويجيب بتلقائية:

- أيوه يا فندم – لازم حضرتك، نرمين هانم!! دي ندى دايمًا تتكلم عن حضرتك، وعن قصة كفاحك وحبك للموسيقى..

- ندى دايمًا بتبالغ في وصفها لي..

**نزار، وصوته لا يزال يحمل الدهشة:**

- في الحقيقة يا فندم، أنا مندهش.. أنا لم أقف في حياتي هذا الموقف.. أنا آسف، أنا آسف جدًا، لو كنت أزعجت حضرتك.

**نرمين بارتباك:**

- اتفضل حضرتك.. ما فيش حاجة.. أهلاً وسهلًا بك.. حضرتك عايز تطمئن على ندى؟!

**نزار، دون أن يخفي انبهاره:**

- أنا فعلاً مبهور جدًّا.. وكل حاجة في ندى شايفها بثراء وبعمق كبير في حضرتك.

**نرمين ببقايا ارتباك:**

- ندى وعادل ويوسف هم كل حياتي.. الباقي شغل وبس، تحب تشرب إيه حضرتك؟

- في الحقيقة أحب أسمع قبل ما اشرب.. حضرتك درستي موسيقى؟ يا ريت تكملي مقطوعة "أنت عمري".

**نرمين، في خجل:**

- في المدرسة.. كانت الموسيقى حصة إجباري، ولها تقدير في آخر السنة – بس أنا أصلاً سوبرانو، وبحب أغني أغاني الكلاسيكية الفرنسية، وبعتبر الموسيقى منبع راحة واسترخاء لي بعد الشغل، واليوم الطويل المرهق..

- أنا عرفت دلوقتي، ندى جابت الصوت الحلو ده من مين!!

**نرمين موضحة:**

- ندى صوتها أحلى كثير؛ لأنها مش بس حنجرة وموهبة، ولكنها درست، وحبت تكون مهنية أكثر.

**د. نزار مبتسمًا:**

- أنا متفائل جدًّا بندى، وممنون بوجودها معنا في المدرسة.. الأولاد بيحبوها أوي، وهي نجحت في إنها تخليهم يحبوا الموسيقي، ويحبوا بعض؛ علشان يعرفوا يعملوا عمل موسيقي ناجح.. في الحقيقة يا فندم، أنا باشكر حضرتك تاني على ندى – هي إنسانة جميلة ومعطاءة، وكلها حب وحنان للأولاد.

**نرمين، مؤكدة على كلام د. نزار:**

- ما فيش زي ندى.. حضرتك بس ما شربتش حاجة، تحب تشرب إيه!!

- أي حاجة، بس من غير تعب لحضرتك.

**نرمين تنادي على الخادمة، وتقول بينها وبين نفسها:**

- ندى عندها حق.. هو لسه في رجالة كده فى الدنيا دي.. يا حبيبتي يا ندى.

تقدم الخادمة الليمون والمياه المعدنية.

**د. نزار، وهو يحتسي الليمون:**

- في الحقيقة يا فندم.. أنا بأهني حضرتك على ندى، وعلى المقدم عادل كمان.

**تقول نرمين متسائلة:**

- هو حضرتك قابلت عادل!

**د. نزار، مؤكدًا:**

- أيوه يا فندم، هو زار ندى في المدرسة – شخصية رائعة ومحترمة .. يا ريت يكون كل الشباب مثله.. ونعم التربية يا نرمين هانم.

يصل عادل إلى المنزل، فيجد د. نزار في المنزل، فيدرك أنه جاء من أجل زيارة ندى المريضة..

**عادل يرحب به قائلاً:**

- د. نزار، أهلاً بك، مشرفنا حضرتك.

**نزار بكل سعادة:**

- أنا اللي اتشرفت بكم كلكم.. السيدة نرمين في الحقيقة شخصية رائعة..

**عادل، ضاحكًا:**

- لازم تتغدى معانا.... دي ماما أكيد عامللنا كفتة وملوخية، وأكيد رز بالشعرية!! ويا ريت حمام بالفريك!!

**نرمين، وقد علت وجهها ضحكة:**

- يا عادل يا عفريت.. طول عمرك بتعاكس ماما.

**عادل مبتسمًا:**

- يا أمي ما إنتي قمرة، ولازم تتعاكسي.

**نرمين، فى خجل شديد:**

- عيب يا ولد.

**يقول نزار، وهو ينظر إلى نرمين بكل إعجاب وإنبهار، وقليل من الخجل:**

- في الحقيقة – نرمين هانم تتعاكس.

وضحك الجميع بصوت عالٍ..

**عادل:**

- ماما علشان خاطري – العبي مقطوعة "نور القمر".

**نرمين:**

- إشمعنى يا عادل!!

**عادل موضحًا:**

- أصل أنا ويوسف صاحبي حاولنا نتفشخر على بعض، وراهنّا بعض على مين يعرف بيتهوڤن وأعماله المشهورة، أكثر من التاني...

**نرمين:**

- يا حبيبي.. ما تدخلش رهان، وأنت مش متأكد، بالذات في الموسيقى الكلاسيك - أنا حاعزف مقطوعة لـ "شتراوس".. ندى بتحبها أوي!!

يستمع عادل ود. نزار إلى عزف نرمين للمقطوعة، وهما في حالة انسجام تام.

تستيقظ ندى على الموسيقى المفضلة لها، وتترك غرفتها، وتذهب إلى مكان البيانو.. فإذا بها تفاجىء بوجود د. نزار:

- د.نزار!! أشكرك جدًّا على الزيارة الرائعة دي...!!

**د. نزار، وقد أخذه ظهورها المفاجئ:**

- في الحقيقة يا ندى.. أنا اللي باشكرك، لأني لولا مرضك.. ما كنتش قابلت والدتك، نرمين هانم.. ولا كنت كمان سمعت أحلى عزف على البيانو....

**ويكمل د. نزار الحديث، محاولاً جذب انتباه نرمين هانم، فيقول:**

- إنتي عارفة يا ندى إن والدي سمّاني "نزار"، على اسم الشاعر الكبير نزار قباني؛ لأنه كان من أشد المعجبين به وبشعره...

**ثم ينظر د. نزار إلى نرمين، ويضيف قائلاً:**

- إحنا عائلة فنية جدًّا!!!!

**نرمين في خجل:**

- ندى إن شاء الله حتتحسن قريب، وحترجع المدرسة قبل الميعاد، اللي قال عليه الدكتور محسن.

**عادل ضاحكًا:**

- شباب الأيام دي ضعيف أوي يا دكتور- فين.. فين أيام الكفتة والملوخية والرز بالشعرية.. يا ماما حنموت من الجوع!!

ثم ينظر إلى أمه ليذكرها بميعاد الغذاء..

ويضحك الجميع....

يتناول الجميع الغداء، وهم في قمة السعادة..

**وبعد انتهاء الغداء، يقول د. نزار، ومظاهر سعادة بالغة بادية على وجهه:**

- أنا سعيد جدًّا واتشرفت بمقابلتكم، واسمحوا لي أن أعود للمدرسة.

ينسحب نزار بكل هدوء، ويسلم على الجميع، على وعد بمقابلة قادمة..

يعود **نزار** إلى المنزل ليفاجأ بحالة كارثية من زوجته **عهد**؛ ليجدها في استقباله، وهي في قمة الغضب والسخط، بعد معرفتها أنه ذهب لزيارة ندى بالمنزل.. وفي كل عقلها أنه يحب ندى، ويجري وراء سيدة تصغره بـ٢٠ عامًا – وتبدأ عهد في التجريح والسب الجارح لنزار، وتنشب بينهما مشادة كلامية مؤلمة...

**عهد، وهي في حالة تعبير عن استهزاء:**

- حمدلله على السلامة يا دكتور!! هو لما أي حد يشتغل عندك في المدرسة بيمرض – بتروح تزوره في بيته لوحدك – إيه الشهامة دي يا دكتور؟

**د. نزار، بصوت هادئ:**

- عهد...من فضلك.....أنا تعبان، ومش قادر أبدًا حوار مالوش أي معنى.

**عهد باستنكار شديد:**

- طبعًا ما أنت رايح تزور مُدرِّسة في عمر بنتك – أصلك بتحب الصغار، وعايز تجدد شبابك.. أنت مش حاسس إنك كبرت.. عيب عليك دا أنت المفروض زي أبوها!!

**د. نزار وقد علا صوته:**

- عهد، من فضلك، بلاش الغلط ده.. كريم في البيت، وبيحاول يذاكر!!

**عهد ترفع صوتها أكثر:**

- يا ريت كريم يشوف أبوه، وهو حيموت على واحدة في عمر أولاده..

تنتهي المناقشة بأن يستجيب نزار إلى صوت قلبه وعقله، ويتخذ قرار الطلاق في قرارة نفسه.. ولكنه كان ينتظر الوقت المناسب لإعلان هذا القرار النهائي.

* * * * *

لكن "عهد" تبدأ في مراقبة نزار فى المدرسة، ومحاولة معرفة ندى عن قرب؛ حتى تستطيع أن تثبت وجود أي علاقة شائكة بينها وبين زوجها نزار.

وفعلاً، استطاعت "عهد" أن تعرف عنوان مسكن ندى، عن طريق التقرب من المشرفة فايزة في المدرسة، والتي بمنتهى حسن النية، أعطتها العنوان؛ ظنًّا منها أنها تريد أن تصطحب كريم؛ ليذاكر مع يوسف في منزله..

قررت عهد أن تزور ندى بالمنزل، إلا أنها عرفت أن ندى، لها أم ذات مكانة كبيرة في المجتمع والأعمال، فقررت أن تقابلها أولاً..

وبعد تأكد عهد – حسب تحرياتها - أن ندى ليست في المنزل لزيارة الطبيب.. ذهبت لمقابلة نرمين هانم؛ لكي تشتكي إليها ندى بأنها تحاول أن تخطف منها زوجها، وأنها تحاول أن تتلاعب به؛ لكي يقع في شباكها؛ لأنه غني وصاحب المدرسة.

نفت نرمين هانم بشدة هذا الاتهام عن ابنتها، ولكن "عهد" تعدت حدودها في الأدب والحوار، وتطاولت على نرمين هانم، متهمة إياها بأنها لم توفق فى تربية ابنتها، بل إنها أساءت تربيتها؛ لكونها على علاقة مع شخص متزوج.

أنهت نرمين هانم المقابلة على الفور بطريقة لبقة وباحترام لنفسها، وغادرت المنزل بكل هدوء، تاركة "عهد" مع الخادمة في المنزل.

رحلت عهد من منزل نرمين ثائرة، في غاية العصبية والضيق، والغضب.. وقد شاءت الأقدار أن يكون هذا اللقاء من أهم أسباب سرعة طلاق نزار لعهد.

* * * * *

في الوقت نفسه، يواظب نزار على الذهاب إلى المدرسة باكرًا. يستغل نزار غياب ندى، ويقرر الاتصال بشريف، طليقها؛ ليبلغه بإمكانة رؤية ابنه يوسف، عن قريب كما وعده – وفعلاً جاء شريف، وتمت الزيارة في سلام وهدوء، وينشأ نوع من التفاهم والتقارب بين نزار وشريف.. وبكل سمو ورقي أخلاقي، يحاول نزار مساعدة شريف للتغلب على الإدمان.

يقرر د. نزار أن يتصل بالدكتور "أحمد أبو العلا"، مدير أفضل مؤسسة استشفاء لمعالجة الإدمان في طريق الغردقة.. ويشرح له الحالة، ويطلب تحديد أقرب ميعاد مع شريف، في أقرب فرصة؛ ليستقبله في المركز، ويهتم به شخصيًّا.

**وفي اتصال هاتفي مع شريف لإبلاغه بالميعاد، قال د. نزار:**

- أهلاً شريف.. عندي لك خبر مهم.. أنا حددت لك ميعاد مع دكتور أحمد أبو العلا، مدير أحسن مركز استشفاء لمتابعة حالتك.

**شريف، متأثرًا:**

- أشكرك يا دكتور.. أنا مش عارف أقول لحضرتك إيه، على كل اهتمامك وتعبك معايا.

**نزار، موضحًا:**

- بس يا ابني أنت كمان لازم تتعب، وتحاول بجد وبإصرار، إنك ترجع زي زمان، وياريت أحسن كمان.

**شريف، بصوت يشوبه اليأس:**

- أنا بحاول يا دكتور.. بس صعب جدًّا.

**د. نزار؛ بإصرار:**

- شريف يا ابني.. اللي عنده زوجة زي ندى، وابن زي يوسف، لازم يعمل المستحيل، ويقدم التضحيات علشان يحتفظ بالاثنين.

**شريف، بكل خجل:**

- عندك حق يا دكتور.. أنا اللي غلطان...

**د. نزار، مطمئنًا:**

- طيب يا شريف.. ربنا معاك، وأنا متأكد إنك حتنجح.

بكل حماس ورغبة في الشفاء، يقرر شريف أن يذهب لمقابلة الدكتور أحمد، مدير مؤسسة الاستشفاء من الإدمان، بالطريق الصحراوي بالقرب من الغردقة.

عندما وصل شريف إلى المؤسسة، كان د. أحمد في استقباله...

**رحب د. أحمد به قائلاً:**

- أهلاً أستاذ شريف - أشكرك على التزامك بميعادك.

- الشكر لحضرتك يا دكتور.. أنا عارف إنك مشغول، ولكنك علشان خاطر د. نزار، كتر خيره، كنت في انتظاري.. هو متابع حالتي ومهتم بي زي ابنه.

- في الحقيقة، د. نزار من أعظم الشخصيات، اللي قابلتها في حياتي.

- أنا كنت كويس أوي.. لكن للأسف، المخدرات خلتني أفقد كل شيء... خسرت نفسي وشغلي ومراتي وابني الوحيد، وحتى أمي وأبويا بيهربوا مني.

**د. أحمد، مطمئنًا:**

- المهم يا أستاذ شريف إنك تكون عايز تتعالج بجد!

**شريف، والدموع في عينيه:**

- يا دكتور، يا ريت أرجع زي زمان... أنا بعد ما خسرت كل شيء، نفسي أصلح وأرجع اللي ضاع مني.

**د. أحمد، مؤكدًا:**

- أنت حترجع أحسن من زمان يا شريف.. أنا شايف فيك الندم والإصرار، ودي علامات مبشرة جدًّا.. تعالى اتفرج على المكان؛ حيعجبك أوي؛ لأنه بسيط، وكله خضرة وورود وناس طيبين.

**شريف منبهرًا:**

- الله يا دكتور أحمد - المكان ده يخلّي الواحد يحس إنه فى الجنة، ده زي الأفلام بالضبط.

- الحمد لله إن المكان عجبك؛ علشان أنت حتكون معنا فترة مش قليلة..

- أنا معاك يا دكتور، تحت أمرك.

**د. أحمد، وهو يقدم شخصية أخرى:**

- أعرفك يا شريف على مديرة مجموعة العمل الفدائي - الدكتورة مريم - وهي أهم شخصية في هذا المركز، وعلى يديها لايمكن ترجع للإدمان؛ لأن عندها كل الطرق العلمية والنفسية، وكمان بكل فخر الروحية.

**شريف، مستبشرًا:**

- فرصة سعيدة يا دكتورة مريم..

**د. مريم، مبتسمة:**

- أهلاً بك أ. شريف..

حضرتك عليك توصية شديدة جدًّا.. إحنا كلنا في خدمتك.

**شريف متوجسًا:**

- يارب استر على التوصية الشديدة دي.. وأكون قدها!!

**يضحك الجميع، ويكون هذا اليوم هو لحظة البداية في نقطة تحول حياة شريف.**

الدكتورة مريم شخصية بسيطة ومتواضعة ومن أكبر عائلات المجتمع.، وكانت تعيش حياة مرفهة مع أسرتها المهاجرة إلى الولايات المتحدة حيث درست الطب النفسي في جامعة كليفلاند.

لكنها اتخذت قرار رجوعها إلى بلدها مصر، وخدمة شعبها في هذا المجال - بعد ما توفى أخوها الوحيد بجرعة زائدة من الهروين..

وحدث أن مرض الأب بعد هذا الحدث المؤثر، وتوفي بسكتة قلبية، ثم ماتت الأم بالحسرة على ابنها الوحيد وموت زوجها..

تركوا مريم وحيدة بأمريكا (لم تجد مريم إلا أن تعود إلى وطنها الاصلي مصر؛ لكي تعيش فيه بقية حياتها، التي خصصتها لخدمة ضحايا الإدمان).

**ينهض د. أحمد، قائلاً:**

- شريف، أنا حاسيبك مع د. مريم في أيدي أمينة، وهي حتتولى كل شيء..

**د.مريم، مشيرة إلى إحدى الغرف المجاورة:**

- اتفضل يا أستاذ شريف.. دي غرفة حضرتك.. هي صغيرة شوية، بس فيها كل المطلوب.. ممكن تترك الحقائب، ونطلع للحدائق للتمشية.

**شريف موافقًا:**

- حاضر يا دكتورة.

في الممشى.. يبدأ شريف التعرف إلى د. مريم عن قرب، ويسأل عن خلفية دراستها.. كما تبدأ مريم أيضًا التعرف إلى شريف؛ لتكون صورة شاملة لبداية العلاج النفسي قبل الفسيولوجي، ثم يذهبان معًا إلى مطعم المركز للغذاء.. وبعد أن يختار كل منهما الوجبة التي تناسبه، يجلسان لبداية تناول الطعام معًا..

**أغمضت د. مريم عيناها لتصلي، وتقول:**

- "يا أبانا السماوي، أشكرك وأحمدك على كل شيء، الصحة والطعام واذكر كل جائع وكل مريض – وبارك حياتنا لمجد اسمك – واعطني حكمة ونعمة أن أكون سبب بركة وشفاء أولادك في هذا المكان".. آمين.

**ظل شريف ينظر بكل استغراب ورهبة إلى د. مريم، ثم يبدأ في تناول طعامه بهدوء ونعمة، ثم قال لها:**

- عرفت من د. أحمد إن حضرتك درست في أمريكا – حد يكون عايش في أمريكا، ويرجع مصر تاني؟

**د. مريم، موضحة:**

- ماتستغربش يا أستاذ شريف.. أنا بعد ما فقدت كل عائلتي في أمريكا، قررت أرجع إلى عائلتي الكبيرة وأمي الغالية، مصر، اللي مش ممكن تموت أبداً، أم الدنيا كلها.

**شريف، بإعجاب شديد:**

- على العموم.. يمكن ربنا بعتك لي؛ علشان أنا فعلاً عايز أخلص من السموم اللي في جسمي.. أنا خايف أوي يا دكتورة!!

**د.مريم، مطمئنة:**

- شوف حضرتك.. مادام أنت خايف يبقى حتخف؛ لأن الخوف بيبين إنك عارف خطورة الإدمان، وإنه ممكن يؤدي إلى كوارث في حياة المدمن.

**بعد انتهاء الطعام، تقف د. مريم قائلة:**

- ممكن حضرتك تستريح لمدة ساعة في غرفتك – وحنبدأ الجلسات الساعة ٦ مساءً.

- حاضر يا فندم.

* * * * *

**يبدأ شريف رحلة العلاج مع الدكتورة مريم.. وفي الصباح تجتمع د. مريم مع د. أحمد لمناقشه حالة شريف..**

بدأ د. أحمد الحديث قائلاً:

- أنا متفائل بيكِي يا دكتورة مريم.. شريف حالة خاصة ومهمة جدًّا، بالنسبة لي.

**د.مريم، مطمئنة:**

- ربنا يسهل يا دكتور أحمد.. بس أتمنى إنه يكون متجاوب مع العلاج إياه.

- أنا عارف أن الحالة صعبة.. وممكن يكون عنيف جدًّا.. أرجوكي، احترسي - إنتي طبعًا عارفة إنه ممكن يتهجم عليكِ، ويأذيكِ لو منعتِ عنه الجرعة.

- ربنا بيعطي القوة والحكمة.. وإن شاء الله هو نفسه حيحاول يتغير، أنا لاحظت فيه الندم والحسرة، على اللي وصل له من بهدلة بسبب المخدرات.

- أهم حاجه سلامتك.. ده كان حيقتل مراته وابنه بسبب الجرعة!! خلي بالك أرجوكي، مش عايزين أي مجازفة!

- حاضر يا دكتور.. أوعدك حأكون حذرة.

تتفرغ د.مريم لشريف لحظة بلحظة، حتى وقت ميعاد الجرعة المطلوبة، وترى بنفسها التحول العجيب في سلوكه.. من هادئ

ومحب إلى عدواني وشرير، لدرجة أنه حاول أن يتهجم عليها، ليس بدافع نزوة، وإنما بدافع معاناته من الإدمان.. رغم أنه كاد أن يمزق لها روبها الأبيض.. وهي تتابع العلاج في زيارة خاطفة إلى غرفته.. ولكن د.مريم استطاعت أن تهرب من الغرفة بطريقة سريعة، دون أي إصابات أو ضجيج..

يستمر الحال في العلاج، وتتواصل مثابرة د. مريم، ويتحسن شريف ببطء، ولكن بثبات، ويبدأ إعجابه الشديد بالدكتورة مريم.. وفي مطعم المركز، يسألها أسئلة خاصة عنها.

**شريف، وفي صوته شيء من الامتنان:**

- أنا متشكر جدًّا يا دكتورة مريم على تعبك معايا الفترة اللي فاتت كلها، وبأعتذر لك عن أي سخافات حصلت مني، تحت تأثير الإدمان. حقيقي أنا معجب جدًّا بصبرك، وطريقة معالجتك المهنية والعبقرية.

**ترد د. مريم:**

- أ. شريف، أرجوك بلاش مبالغة في الشكر.. ده عملي، أؤديه كما ينبغي أن يؤدى.

- عندي سؤال، إذا سمحتي لي؟

- طبعاً.. طبعًا، اتفضل يا فندم.

- إزاي واحدة جميلة، رقيقة، في عز شبابها.. دكتورة محترمة زيك.. إزاي لسه متجوزتيش؟!

**د.مريم، وفي عينيها بريق من السعادة، ولكن ممزوجًا بدموع قسوة الذكريات:**

- فاكر لما قلت لك إني قررت أرجع مصر، أم الدنيا، بعد ما فقدت كل أفراد عائلتي...

**أومأ شريف برأسه دلالة على تذكره، فأكملت د. مريم حديثها:**

- إحنا كنا أسرة سعيدة جدًّا..

بابا من أنجح جراحين القلب في مستشفى كليفلاند..

ماما أستاذة الفيزياء بالجامعة.. وأخويا الوحيد اتخرج من كلية الطب، قسم جراحة، ليكمل مسيرة أبي..

**شريف يستمع بإهتمام شديد.. وقاطعها قائلاً:**

- عائلة جميلة فعلاً...

**واصلت د.مريم حديثها قائلة:**

- لكن أصدقاء السوء في أمريكا لفوا حوالين أخويا مينا، وخلوه يجرب المخدرات؛ علشان يعرف يذاكر طول الليل، ويسهر من غير تعب.

**شريف في حسرة وتأثر واهتمام شديد:**

- وبعدين!!

**د.مريم، مستأنفة حديثها:**

- كان مينا عنده امتحان الدراسات العليا، وكان لازم يركز جامد وسمع كلام صاحبه، وأخذ جرعة زائدة منه.... ماما وبابا وأنا، كنّا في القداس يوم الأحد، ورجعنا البيت متأخر؛ علشان نوفر لـ "مينا" ما يلزمه من هدوء للمذاكرة...

دخلنا البيت، ووجدنا مينا على الأرض من غير نفس.. ولما ذهبنا به للمستشفى، الدكتور قال إنه أخذ جرعة زائدة من المخدرات، قضت عليه في الحال.

**قال شريف معقبًا:**

- المخدرات ليس لها أمان.. زي الشيطان بالضبط!!

**د.مريم، وهي في تأثر شديد:**

- بابا بعدها جاتله ذبحة ومات بسكتة قلبية، بعد ٣ شهور بالضبط.. وطبعًا ماما كان عندها انهيار تام بعد مينا، ولم تستطع احتمال وفاة بابا.. ماتت بعدها بأسبوع على طول.. وأنا بقيت لوحدي في البيت والبلد كلها.. وقررت أرجع لأمي الغالية مصر، وأكرس حياتي كلها لخدمة الشباب، اللي وقع في فخ الإدمان، وأصبحوا ضحايا المخدرات وأنقذهم من أنفسهم، وكمان أنقذ عائلتهم من الانهيار والضياع.

**شريف متأثرًا يحكي، كما لو كان يسترد أحداث إدمانه:**

- عارفة يادكتورة مريم.. بدأت حكايتى مع الإدمان فى المكتب..

**صمت شريف برهة، ثم أكمل:**

- جالي صديق مش من أعز أصحابي، ولكن كان بيشتغل معايا في كام مشروع.. وأنا مركز في شغلي جدًّا.. ومحتاج أكسب المناقصة، علشان نطلع شوية في الصفوف الأولى في أعمال المشروعات الكبيرة.. جاي يزورني في المكتب، وكان في يده بوكيه ورد أبيض، شكله جميل جدًّا وعرض عليا أشم واحدة؛ علشان أحس بطاقة عالية ويتضاعف التركيز. وفعلاً لما شميت الوردة، لقيت نفسي بقيت مركز ٥٠٠٪، وطاقتي عالية جدًّا.. وبعدها بقيت أسأل أصحابي، كل يوم، عن الوردة وسرها.. واكتشفت في الآخر إن صديقي كان راشش بودرة هيروين عليها، ومن يومها بقيت تحت طوع البودرة.

للأسف.. ممكن نفتكر إننا أذكياء، ولكننا في كثير من الأحيان، بنلاقي إننا ممكن جدًّا نكون ضحايا الغرور، وبأننا أذكى من ناس كتير. صاحبي ده.. أو اللي كان صاحبي، طلع عمل كده علشان الفلوس وبس.. وأنا كنت فاكر إنه بيحبني لشخصي ولشخصيتي.

**دكتورة مريم، مفسرة:**

- أكيد في ناس تانية كثيرة بتحبك يا أستاذ شريف.. إنت شخص محترم، وفيك صفات جميلة، وأنا متأكدة إن زوجتك وابنك ووالدك ووالدتك بيحبوك، أكثر بكثير من اللي أنت فاكره.

**شريف، في غاية التأثر:**

- دكتورة مريم.. أنتِ إنسانة عظيمة، ربنا بعتك لي – علشان فعلاً أتغير، مش بس أرجع زي زمان، لكن ممكن أكون أحسن من زمان بكتير.. أنا بحبك أوي.

**تبتسم دكتورة مريم، وتقول:**

- أحسن حاجة في الدنيا إن الإنسان يحب ويتحب، وأصعب حاجة إنه يفقد هذا الحب.. علشان كده أنا قررت أحب وأتحب من ربنا بس، وهو مش ممكن حيسيبني – ده وعده "أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر".

**شريف، معقبًا:**

- واضح يا دكتورة مريم، إن فقدانك لكل أفراد أسرتك خلاكي زاهدة في الحياة!!

**د. مريم، مشيرة بالنفي:**

- بالعكس يا أستاذ شريف.. أنا بحب الحياة أوي، بس مش بحب العالم اللي ملئ بالنفاق وحاجات كتيرة غلط زي المخدرات مثلاً.. أنا بأستغرب لما بألاقي شباب زيك، بيشرب سجائر وخمرة ومخدرات، وبيستهونوا بصحتهم وبجسدهم، رغم أن ربنا أعطاهم صحة جيدة.. ودائمًا بسأل نفسي: لما ربنا أعطانا صحة ممتازة ببلاش ليه بنصرف فلوس، ونشتري حاجات تضيِّع الصحة دي – هل ده ذكاء؟

- هو فعلاً سؤال منطقي جدًّا، بس ساعات البشر بيتصرف بغباء.

**د.مريم، مبتسمة:**

- يا سلام يا أستاذ شريف.. حضرتك كده فعلاً موضوعي وواقعي.

**شريف، معترضًا:**

- يا دكتورة.. دا أنا كده غبي ومتخلف!!

**د.مريم (ضاحكة):**

- أبداً – حضرتك بدأت تعرف إنك كنت غلطان، ودلوقتي أنت في نعمة اسمها الشفاء من وهم المخدرات.

**شريف، ضاحكًا:**

- أنا جعان.. مش ميعاد الغذاء دلوقتي؟!

**د.مريم، وقد فوجئت بذلك:**

- يا خبر.. صح، يلا بينا ناكل حاجة، قبل مايقفلوا المطعم.

يتحرك شريف ود. مريم، وهما في غاية السعادة بهذه المعرفة، وكأن كل واحد منهما وجد ما ينقصه في الحياة.

وفي الوقت نفسه، يحاول شريف التقرب من ندى، وإرسال باقات من الورود لها في المدرسة والمنزل – ومحاولة الاتصال بها، والتودد إليها بكل حب واحترام، كمحاولة لإقناعها بحبه الدائم لها.

لكن ندى تستمر في الرفض لمقابلة شريف، أو الرد على تليفوناته؛ لذا كان شريف يترك رسائله عن طريق الخادمة.

*****

# الفصل الرابع

# الصَّديقان

في صباح أحد أيام العمل؛ حيث اعتادت "نرمين" الذهاب إلى مصنع الرخام، الذي ورثته عن زوجها في «شق التعبان»، التقت أخيه المهندس "عماد شاش" في مكتب المصنع.. قالت له نيرمين:

- صباح الخير يا باشمهندس عماد، يا ترى الشُّحنة وصلت إلى كوريا؟

- صباح النور نرمين هانم.. الحمد لله كله تمام، والناس هناك مبسوطين جدًّا من الرخام اللي وصلهم.

**نرمين بحماس:**

- عظيمة يا مصر- إنتَ تعرف إن كوريا بتستورد كميات كبيرة جدًا من الرخام المصري بتاعنا؟

**عماد، مؤكدًا:**

- إنتي دائمًا متابعة وعارفة كل حاجة؟

**نرمين، مبتسمة:**

- يا فندم، أنا تلميذتك.. أنتَ عارف إني بعد وفاة رفعت، كنت في

قمة الجهل، كنت بلا خبرة.. البَركة فيك، أنتَ علمتني الصنعة.

**عماد، بصوت مملوء بالإعجاب:**

- يا نرمين، إنتي عارفة كويس أوي إني معجب بكل حاجة بتعمليها؛ لأنك سِت عظيمة بكل المقاييس!!

كان عماد يحادث نرمين، وفي عينيه نظرة تقدير وحب.. ورغم كثرة لقاءاتهما في العمل وخارجه على مدى سنوات، إلا أنه هذه المرة بدت عليه علامات زائدة من إعجاب واضح بنرمين، يُداخله شعورٌ بالحسرة على حياته الزوجية التَّعِسة غير الموفقة، مع زوجة لا تهتم إلاّ بالمظاهر والتباهي ببهرجة المعيشة.

انتهى يوم العمل...

استقلت نرمين سيارتها وانطلقت.. وعاد عماد ليجد زوجته "دَوْلت" في المنزل، والمائدة جاهزة للغذاء..

**حيّاها عماد ببرود، وأكمل طريقه إلى الداخل، فاستوقفته ساخرة لتقول:**

- مش هتاكل؟

- ما ليش نفس!

- ليه، مالَك؟

**عماد، برغبة في إنهاء الحديث بسرعة:**

- كان عندنا شغل كتير، وتعبان قوي.. عايز أستريح، أهم من الأكل.

**دولت، مواصلة سخريتها:**

- ليه؟ هي الغندورة نرمين مش بتساعدك في حاجة؟!

**عماد، موجهًا نظرة لوم لها:**

- عيب تتكلمي عن أرملة أخويا وأم أولاده بالأسلوب ده.. مش معقول الغيرة اللي إنتي فيها دي!!

**دولت باستنكار شديد:**

- أنا أغير من نرمين؟ ليه؟ الحمد لله أنا عندي كل شيء، ومش ناقصني أي حاجة عندها! دي حتى بتصعب عليَّ أوي؛ خصوصًا إن بنتها ندى فشلت في جوازها، وقعدت جنبها بالولد الصغير.. وأبوه واحد من أغنى رجال الأعمال في البلد.

**عماد، مذكرًا إياها:**

- إنتي عارفة كويس ليه ندى اطَّلقت من شريف.. الدلع الزيادة بتاع أمه خلاه غير مسئول، وراح للمزاج وأصدقاء السوء، بدل ما يحافظ على مراته وابنه العبقري.

**دولت، وقد أكلتها الغيرة:**

- يا سلام! بتقول على الولد المفعوص ده "عبقري"؟!

**عماد، مؤكدًا:**

- طبعًا زي خاله عادل الضابط المحترم، اللي ما رضيش ياخذ مكان

أبوه في شغل المصنع.. وفضّل إنه يبقى ضابط، مكافح وناجح في كل العمليات والمهمات، اللي بيتم تكليفه بها، لحد ما بقى "مُقدِّم". وإن شاء الله ها يكون "لواء" قُرَيّب.

**دولت في غيظٍ:**

- أنت دائمًا تعايرني، أني دلّعت ابننا حماده زيادة، وإنه ماشي وراك في كل حاجة في حياته، وما لوش رأي.. حرام عليك، الولد بيحاول، إديله فرصة.

**عماد، بشيء من التلميح:**

- في أمهات بتدلع أولادها، وفي الآخر بيضيعوا.. زي أم شريف.. وفي أمهات، بتسيب أولادها من غير حساب كده، زي ابننا اللي ما عندوش شهادة، علشان عارف إن عنده مصنع أبوه! وفي أمهات زي نرمين مَثَل أعلى لأولادها، وبتكافح وتتعب وتضحي.. والأولاد بيشوفوا كل ده، وبيعمل عندهم حافز علشان يتفوقوا، تمام كده زي عادل ابنها.

كان عماد قد دخل إلى غرفته بيغير هدومه أثناء حوارهما هذا، وهما واقفان في حجرة النوم.. وبعد أن بدّل ملابسه، اتجه نحو السرير؛ طلبًا للراحة.

**دولت، قبل أن تنصرف غاضبة، تقول:**

- خلاص.. اقفل الموضوع ده.. وكفاية كده.

* * * * *

نرمين في منزلها، بعد عودتها من المصنع، في غرفة المعيشة، تشغّل، على جهاز أسطوانات، إحدى أغنيات الفنان العالمي "ديميس روسوس"، (وداعًا يا حبي)، وتجلس لتستمع، وتعلو وجهها علامات التأثر، وهي تشرد في ما قاله لها المهندس عماد صباح اليوم في المصنع، وتفكر في حياتها بعمق.

يصل عادل إلى المنزل، استعدادًا للقيام بمأمورية رسمية في المساء.. يدخل ويغلق الباب وراءه، ثم يتجه ناحية صوت الموسيقى، الآتي من غرفة المعيشة، ليجد أمه جالسة على الأريكة والدموع تتدفق في عينيها، وهي تحاول منعها.. لكنها تفشل، فتتساقط من عينيها، وهي تسمع الأغنية.

**عادل، محاولاً التخفيف عنها:**

- إيه يا ست ماما، بتفكري في أيام زمان ولا إيه؟

**نرمين، في شيء من الابتسام:**

- عارف يا عادل، أبوك كان بيحب الأغنية دي أوي، وكنا زمان بنروح حفلات "ديميس روسوس" في نادي الجزيرة!

كانت أيام حلوة- وحشتني.

**عادل في شيء من المواساة:**

- إنتي تعبتي كتير معانا يا أمي، ونفسي تأخدي أجازة وتستريَّحي.

**نرمين تسترسل في حديثها:**

- عارف يا حبيبي، لما أبوك توفي في المستشفى؛ علشان معرفوش يكلموا الدكتور؛ لأن التليفونات كانت عطلانة، والدكتور وصل بعد فوات الأوان..

كل الناس قالوا لي: خدي ابنك وبنتك، وسافري خارج مصر، علشان دي بلد ما فيهاش تقدير لأرواح الناس، اللي بتموت؛ بسبب الإهمال الطبي، ونقص الخدمات.. يعني حياة الإنسان فيها بلا قيمة..

**كان عادل يستمع بشغف شديد، بينما كانت أمه تواصل حديثها:**

- لكن أنا قلت: كل شيء في يد الله، ومصر هي بلدي وبلد أولادي، وفيها أهلي.. وربنا معانا، وأنا متأكدة من إن ربنا حيقويني، ويبارك لي فيهم.

**تنظر نرمين إلى ابنها عادل نظرة حب مليئة بالقوة والصبر، وتقول:**

- أبوك كان عايز يعمل حاجات كثير لمصر وللمصنع..

وكان لازم أكمل مسيرته، وأربيكم على حب البلد، والصمود أمام أي تحديات ومشكلات!!

**عادل، في حماس:**

- ربنا يقدّرنا، ونعوضك أنا وندى وأحفادك.

**نرمين، وهي تبتسم ابتسامة واضحة:**

- أنا فخورة بك يا عادل، لكن خايفة عليك أوي.. الخطر حواليك

في كل مكان يا ابني، والإرهاب مالوش ضمير ولا دين ولا قلب.. كان نفسي تكون مهندس زي أبوك، وتدير المصنع مع عمك "عماد".. لكن أنتَ كنت عايز حاجة تانية خالص، وكان لازم أساعدك علشان تكون سعيد.. فاكر وأنتَ طفل صغير، كنت تلبس بدلة الشرطة وتقف على باب البيت، وتعمل فيها ضابط، تعمل علينا ضبط وربط، وتدينا أوامر حتى على أبوك الله يرحمه؟

**عادل ضاحكًا:**

- تمام يا افندم، إحنا شداد قوي والأمن مستتب في البلد، وعملنا كل الاحتياطات؛ علشان الشعب كله يكون في أمان.

**نرمين وقد بدا عليها شيء من القلق:**

- بس أنا خايفة عليك يا حبيبي!

**عادل مطمئنًا:**

- ماما خليني أعيش بالطريقة اللى أنا اختارتها، وخلي ربنا هو اللي يختار طريقة موتي.. وعلى العموم يا ستي "عمر الشقي بقي"!

**ينهض عادل، ثم يقف وقفة الشرطة، ويقول:**

- ماما، أنا رايح ليوسف..

- مش حا تاكل حاجة وتستريح شوية؟ أنت لسه واصل!

- معلش يا أمي يوسف واحشني.. اتنقل وبقالي أسبوع ما شوفتوش.

**نرمين تسأل بقلق:**

- اتنقل فين؟

**عادل، محاولاً تفادي الرد على السؤال:**

- على فكرة يا ماما، طنط كريستين بتسأل عليكي، وبتقول لك وحشتيها، ونفسها تشوفك.

يغادر عادل المنزل تاركًا أمه في غرفة المعيشة، في حالة من القلق والحيرة.

**بعد لحظات تصل "أمل" صديقة نرمين، وتنادي عليها:**

- نرمين.. نرمين أنتِ فين؟

- أيوه يا أمل.. أنا هنا عند البيانو.

**أمل، بلهفة:**

- حبيبتي.. وحشتيني.. علشان خاطري العبي لي مقطوعة "قصة حب"..

**نرمين، مبتسمة:**

- حاضر.. بس بشرط نروح الجيم بعدها.

**أمل بحسرة:**

- إيه الذل ده، حاضر يا كابتن نرمين.

تلاحظ أمل أن نرمين تعزف المقطوعة، وهي غارقة في شرودها، فتقاطع تأمُّلَها:

-إنتي فين؟ في حاجة؟ قلقتيني، مالِك؟

**نرمين، في بقاياها من شرودها:**

- أنا هنا- بس مشغولة أوي على عادل!!

**أمل، مطمئنة إياها:**

- عادل ابنك زين شباب البلد.. ربنا يخليه ليكي، ولينا كلنا.

**ترفع نرمين وجهها إلى أعلى، ثم تقول:**

- يارب حافظ على كل الشباب، ونجيهم من كل شر.

**أمل، مؤكدة:**

- آمين.. ياللا بينا على الجيم..

أنا كلي نشاط، عايزة أحس إني لسه شباب.

**نرمين في دهشة:**

- يا سلام.. النشاط حلّ عليكي دلوقتي؟

**أمل بجدية مصطنعة:**

- لعلمك يا نرمين، أنا نشيطة أكثر منك، بس الزمن هوا اللي هبّطني.

**نرمين ضاحكة:**

- يا حبيبتي يا أمل.. ضحكتيني..

**نرمين وأمل تتحركان لتخرجا من منزل نرمين، في طريقهما إلى الجيم.**

في تلك الأثناء، يكون عادل داخل سيارته في طريقه إلى صديق عمره، يوسف لويس، الذي سمّى ابن أخته ندى على اسمه؛ حُبًّا ليوسف وعائلته. وعادل في الوقت نفسه أيضًا، يُكن لمونيكا أخت يوسف حبًّا متبادلاً وعميقًا، وبريئًا منذ الصغر، ولكن كان التحدي الأكبر لهذا الحب، هو اختلاف الدين.

ولأن عائلة يوسف ومونيكا من أكبر وأقدم العائلات القبطية المسيحية في مصر، ومعروفة باتصالها بالكنيسة، والتزامها بكل العادات والتقاليد المسيحية.. فقد كانت فكرة ارتباط عادل ومونيكا شبه مستحيلة، وكان يوسف يقدر كثيرًا هذا الحب، الذي كان منبع ثقة واحترام الصديقين المخلصين لبعضهما البعض، وهما يخدمان معًا في الشرطة.

**يصل عادل إلى منزل صديقه يوسف، ويلتقي بمونيكا.**

**عادل، متهللاً وهامسًا:**

- صباح الفل يا أحلى مونيكا.. وحشتيني أوي.. فين أخوكي صاحبي الشقي؟

**مونيكا في عتاب وشوق:**

- أنتَ اللي فين يا عادل؟ بقالك أسابيع غايب عننا؟

- صدقيني يا مونيكا.. أنا بحاول أبعد رغم عني.. وأنتِ أكيد عارفة ليه.

**مونيكا، بشيء من التسليم بالأمر الواقع:**

- أنا عارفة.. بس برضو ماتختفيش كده.. إحنا نحب نشوفك ونطمن عليك.

**عادل في اعتذار واضح وبعض الدعابة:**

- آسف يا أميرتي الجميلة.. والآن أين هو صديق عمري وأخويا يوسف؟

**مونيكا ضاحكة:**

- يا يوسف.. يا يوسف، تعالَ بسرعة.. عادل هنا- تعالَ إلحقه قبل ما يجري مننا.

**يدخل يوسف الصالون.. وهو يرحب بعادل:**

- منوَّر يا عادل.. واحشني جدًّا ياصاحبي...

- إيه الحكاية يا بطل؟ أنت اللي فين ياعم؟

**مونيكا، وهي تغادر وتوجه نظرها إلى عادل:**

- أسيبكم مع بعض- عادل .. إنتَ حتتغدَّى معانا- أنا متأكدة إنك ما أكلتش من الصبح.

**يوسف يجاوب عادل:**

- من ساعة ما اتنقلت شرم الشيخ، وأنا في دوامة، مش لاحق أشوف حتى نفسي.

**عادل وعلامات القلق واضحة على وجهه:**

- بس الحالة مُطمْئنة عندكم؟

- الدنيا ماشية.. بس الخونة أعداء البلد، عاملين كل شيء بحساب، وبطريقة شيطانية.

- صَدَقتْ.. دول مجرمين، ومالهمش دين.. بس ربنا هينصرنا عليهم، وعلى كل من يعادي مصر، وشعبها الأصيل.

- يا عادل، أنا مش قلقان على نفسي، أنا قلقان على ماما وبابا، وبالذات على مونيكا..

أنت عارفة إحنا في جهاز الشرطة حياتنا مش ملكنا، وبيزيد الخطر طبعًا لما نخدم بلدنا في المناطق، اللي فيها إرهابيين.. زي المكان اللي أنا فيه، في سينا دلوقتي.

**عادل في جدية واضحة:**

- تحب تتنقل يا يوسف؟!

**يوسف بعفوية شديدة:**

- طبعًا لأ، أنا أخدم بلدي فى أي مكان.. بس عايز أطمئن على أهلي.

**عادل ضاحكًا للتهوين عن يوسف:**

- يا حبيبي أنا لسه قايل لماما: عمر الشقي بقي.. وعلى العموم، أنا كفيل بكل العائلة ياسيدي، وبالذات مونيكا.. (ويضحكان)..

كان يوسف يضحك من القلب؛ لأنه يعرف جيدًا استحالة انتهاء الحب الأفلاطوني، بين أخته وصديقه بالزواج.

بعد قليل من الوقت، تقدم لهما مونيكا الطعام، مكونًا من بعض المشويات والخضراوات..

**مونيكا ضاحكة:**

- اتفضلوا يا وحوش.. أكل كله ڤيتامينات وبروتين.

**عادل مبتسمًا في لوعة :**

- تسلم الأيادي يا أحلى ست بيت في الدنيا.

**مونيكا، وقد شعرت بخجل:**

- بلاش تريقة.. كل وأنتَ ساكت!

**يوسف:**

- عايزنا نسهر فين النهاردة يا بطل؟

- خلينا نتمرن أحسن! إيه رأيك يا مونيكا، أنا ملتزم أهه! وماشي جنب الحيط!

**تنظر مونيكا إلى عادل بفخر وحب، وتقول:**

- أنتم شباب زي الفل.

**بعدها تذهب مونيكا لإحضار الفاكهة، وهما يأكلان..**

**قال يوسف لصديقه:**

- إنتَ غلّبتني.. نضرب رماية؟!

- أوك تمام يا بطل؟

**يوسف مبتسمًا:**

- قول لي يا شهيد إن شاء الله.. أنا فعلاً نفسي أموت شهيد يا عادل!

**عادل، في لهجة محذرة:**

- آه لو اللي في البيت سمعوك!

يا حبيبي يبقى أنا كمان حاموت شهيد؛ لأني لو كنت معاك حدافع عنك، ولو بعيد، حأموت، وأنا بأخد ثأرك.. ولاّ عندك اعتراض!!

**يلاحظ عادل شرود يوسف، وبوادر الحزن في عينيه، فيسأله بقلق:**

- ما لكَ يا يوسف؟ في حاجة حصلت؟

- أنا رحت أزور أرملة أبونا روفائيل، شهيد سيناء.. إنتَ عارف إنه كان مدرس الترانيم في مدارس الأحد، وأنا صغير.

- طبعًا عارف.. وأكيد كان صعب عليك تزور عائلته.. بس براڤو عليك.. أخبارهم إيه؟

**يوسف، في حزن:**

- تتصور يا عادل، أرملة أبونا عندها سلام مش طبيعي.. سلام

يفوق كل عقل.. عندها ابتسامة ملائكية، وكأنها شايفة أبونا روفائيل أمامها، وبتكلمه طول الوقت!

**عادل، مؤكدًا:**

- يوسف حبيبي، إنتَ عندك كل الحق إنك تكون حزين على أبونا روفائيل.. بس لازم تبقى أقوى علشان تأخذ بثاره، وتنتقم من المجرمين والخونة دول.

**يوسف، وفي عينيه تصميم:**

- ده فعلا اللي بفكّر فيه طول الوقت.. لكن تتصور إن أرملة أبونا بتصلي للمجرمين دول ومسامحاهم؟! دي بتدعي ربنا يهديهم ويباركهم.

**عادل، في استغراب شديد:**

- أنتم في قلوبكم تسامح كبير.. أنا مش قادر أوصل لدرجة إني أعمل زي ما طلب منكم السيد المسيح أن "تحبوا أعداءكم"؟

**يوسف، وقد علا صوته:**

- إنتَ صح يا عادل.. صعب جدًّا إن الواحد يحب عدوُّه؛ خصوصًا لو كان قتل واحد من أحب الناس لقلبه.. لكني رأيت أرملة أبونا، وهي تبكي، وفي أيديها الإنجيل، وبتصلّي لربنا من أجلهم.

**عادل، مفسرًا:**

- الحمد لله إن عندها الإيمان الكبير ده؛ لأنها من غيره، كان ممكن تموت من القهرة على فقدان زوجها.

**يوسف، مشيراً بيده علامة للنفي:**

- بالعكس.. هي فخورة إن زوجها القسيس مات شهيد.. وزي ما أنت عارف، كانت الناس بتحبه أوي، وكانوا بيعتبروه قديس. وكمان كان حنيّن عليها أوي، وبركة لكل مَن حوله.

**عادل، بلهجة تنبيه ليوسف:**

- يوسف يا صاحبي، خلي بالك من نفسك، إنتَ عارف غلاوتك عندنا كلنا!!

**يوسف، مطمئنًا:**

- ربنا موجود يا صاحبى - ينصر مصر وشعبها، وينجيها من كل شر، ويقدَّرنا نحميها، ونخليها أحسن بلد في الدنيا.

**عادل، هاتفًا:**

- تحيا مصر.. تعظيم سلام..

*****

# الفصل الخامس
# باريس.. وموسيقى.. وحب

تستمر ندى في المواظبة على عملها اليومي بالمدرسة.

وبمرور الوقت، تَتوطد علاقة الصداقة بين ابنها يوسف، وكريم ابن د.نزار..

تعمل ندى باجتهاد شديد؛ خصوصًا بعد شفائها من نزلة البرد، وعودتها بعد أسبوعين..

على الجانب الآخر يستمر الخلاف الحاد بين نزار وزوجته "عهد"، التي تداوم على تجريحه وسبه؛ حتى تنشب بينهما مشادة مؤلمة، بعد أن علم نزار بزيارتها السخيفة إلى منزل ندى، ومقابلة والدتها نرمين هانم، واستاء مما فعلته "عهد" معها.. وانتهت المشادة المؤلمة بينهما، باستجابة نزار إلى صوت قلبه ونداء عقله، فيتخذ قرارًا فوريًّا بالطلاق، بموافقة سريعة من عهد؛ حفاظًا على ما تبقى لها من كرامة.

وينفصل نزار عن "عهد" بهدوء، وتعود هي إلى بيت أهلها بالإسكندرية، وتترك "كريم" ابنها في القاهرة مع أبيه، حتى يحين انتهاء العام الدراسي.

وأخيرًا يشعر نزار بالراحة النفسية والبدنية، بعد سنوات من الضغط العصبي وعدم الراحة.. وكعادته، ظل نزار ملتزمًا بالذهاب إلى المدرسة صباحًا، وحين يلتقي بندى يعاملها بكل ترحاب واحترام، ولكن بمزيد من التحفظ.

يجلس نزار في مكتبه بالمدرسة، ويبتسم عندما يتذكر مدى رقة نرمين، وجمالها وحسن استقبالها له.. ويشعر بخليط من المشاعر، بين ما عاناه من عهد، وما يبهره في ندى، ومشاعره الغريبة من ناحية نرمين.

وبينما هو جالس تخالطه تلك المشاعر، تطرق باب المكتب لتتقدم السكرتيرة، وتسلمه خطابًا جاءه من وزارة التربية والتعليم. و يكون مضمون الخطاب توصية باختيار أحد مدرسي الموسيقى بالمدرسة؛ للسفر إلى باريس، في إطار التعاون الثقافي بين مصر وفرنسا؛ لمعرفة آخر تطورات المناهج الموسيقية في المدارس الفرنسية، وأساليب إتقانها للتلاميذ في مراحل التعليم المختلفة.

يقرر نزار اختيار ندى لهذه المأمورية الرسمية، ليس فقط لأنها جديرة بها، ولكن أيضًا لأنها خريجة آداب قسم اللغة الفرنسية، فهي تتقنها وتتحدثها بطلاقة.. كما أنها الأنسب لأنها مُدرسة الموسيقى الوحيدة بالمدرسة.. وبالفعل تسافر ندى إلى باريس، وهي في غاية السعادة، والشعور بالعرفان للدكتور نزار؛ لإعطائها هذه الفرصة العظيمة.

بعد مرور بضعة أيام على سفر ندى إلى باريس في بعثة رسمية...

يزور د. عمرو صديقه نزار، فقد تصادف أنه كان في المنطقة بالقرب من المدرسة، ويدخل عمرو إلى مكتب صديقه القديم؛ ليجده جالسًا شارد الذهن..

**يبادر د. عمرو د. نزار بالحديث قائلاً:**

- أين أنت يا صديقي؟ إيه السَّرَحان دا كله، شكلك واقع في الحب.

**ينهض نزار ويرحب بـ د.عمرو:**

- إيه المفاجأة الهايلة دي.. فينك يا راجل ؟

**يجلسان معًا، ويطلب نزار الساعي ليحضر لعمرو القهوة...**

**نزار، في لهجة تساؤل:**

- حالة حب؟ في الحقيقة يا عمرو مش عارف أنا فين من الحب ده يا صاحبي!

**د. عمرو، منصتًا بشغف:**

- خير! مالك؟ احكيلي...

ثم يدور بينهما حوار طويل، يمتد إلى جلسة في النادي، بعد انتهاء اليوم الدراسي.. يكشف د. عمرو، من خلاله كل ما حدث في حياة صديقه نزار، خلال الفترة الأخيرة..

* * * * *

أمَّا في فرنسا تتجول ندى في شوارع باريس سعيدةً متألقة، وتحضر المحاضرات واللقاءات، والاستعراضات؛ لمعرفة آخر تطورات المناهج الموسيقية، في بعض مدارس باريس..

**ندى في اتصال هاتفي:**

- ماما.. وحشتيني أوي، عاملة إيه يا حبيبتي.. ويوسف ابني.. طمنيني عليه؟ وأخبار عادل إيه؟

**نرمين، ترد متلهفة:**

- ندى يا روح ماما، إحنا كلنا بخير، المهم، أنت كويسة؟

- الحمد لله يا ماما، أنا باعتة سيديهات تخص البعثة للدكتور نزار على عنوان بيتنا؛ علشان أتأكد من وصولها. علشان خاطري ياماما توصليها له بنفسك.. خفت أبعتهم مباشرة له، يضيعوا في زحمة المدرسة أو في البريد!!

**نرمين، مطمئنة إياها:**

- أوك يا حبيبتي، بس طمنيني عليكي، أنت بخير؟!

**ندى، في فرحة واضحة:**

- الحمد لله يا ماما.. باريس تجنن، بتدرب وبذاكر واتفسح، ومبسوطة.. بتعلم ومستمتعة جدًا. والحمد لله الفندق مريح جدًّا وكله تمام.. لا تقلقي يا أمي.. إنتي ويوسف وعادل وحشتوني.

**نرمين، مؤكدة:**

- يا حبيبتي يا بنتي.. أهم حاجة إنك تركزي في اللي إنتي رايحة علشانه.. ولازم تلبسي تقيل.. أكيد الجو برد عندكم في فرنسا!!

- حاضر يا ماما- على فكرة – أنا قدمت هنا في باريس طلبًا رسميًّا باسم المدرسة، إننا نقدم استعراض حفل افتتاح نموذج الأمم المتحدة، اللي حايكون في ڤيينا آخر السنة الدراسية إن شاء الله.. ويا رب يوافقوا، ونفوز بالمركز الأول.. وممكن كلنا نكون هناك مع بعض.. أدعي لي يا أمي!

**نرمين، باللهفة نفسها:**

- ربنا معاكي يا بنتي، وقادر يحميكي.. ياللا بقى تعالي بسرعة، وحشتيني.

* * * * *

**منزل نرمين هانم في الصباح....**

تتسلم نرمين الطرد القادم من فرنسا، فتتصل بالمدرسة؛ لتحدد موعدًا لمقابلة المدير د. نزار؛ لتسلمه سيديهات ابنتها إليه، فيحدد لها موعدًا سريعًا لتقابله في اليوم نفسه، قبل الذهاب إلى عملها في المصنع.

تصل نرمين إلى مكتب د. نزار، ويستقبلها، وهو في غاية السعادة والشغف.

**نرمين، مبتسمة:**

- صباح الخير دكتور نزار.

**نزار، بوجه متهلل، بكل سعادة:**

- صباح النور نرمين هانم، مواعيد حضرتك ممتازة.

**نرمين، مفسرة:**

- طبيعة حياتي العملية خلتني أكون محددة فى كل شيء بعمله.. وكمان ندى موصّياني جامد جدًّا.

**د. نزار:**

- ندى وحشتنا قوي، والكل هنا في المدرسة بيسأل عليها.

**نرمين، مبتسمة بعض الشيء:**

- هي بتسلم على حضرتك جدًا، وعلى كل الزملاء والتلاميذ، وطلبت مني أسلم لحضرتك السيديهات المهمة دي بنفسي، علشان حضرتك تعرضها على التلاميذ في حصة الموسيقى.. ويا ريت تكون الـمُشرِفة ميس عفاف موجودة معاهم.

**نزار، مؤمنًا:**

- كل اللي تقول عليه ندى يُنفَذ فورًا، دون جدال..

**ويسألها بإعجاب:**

- حضرتك أستاذة، وأكيد لما درستي موسيقى في صغرك، وبالذات

المرحلة العمرية المبكرة، اللي فيها تلاميذ ندى دلوقتي.. تفتكري، إيه أحسن طريقة نتعامل بيها مع الأولاد؟

- بس ده كان من زمان قوي يا دكتور.. لكن ممكن حضرتك والمشرفة تنظموا رحلات لزيارة الأماكن الفنية والثقافية، مثل: الأوبرا، وأكاديمية الفنون، وفيها الكونسرڤتوار، ومعهد الفنون المسرحية.. وبالشكل ده يحصل انفتاح واطلاع على البرامج الأخرى، ودمج النشاط الثقافي الخارجي مع منهج المدرسة.

**نزار، مُرحبًا بما يسمع:**

- في الحقيقة دي أفكار هايلة وملهمة.

**نرمين، مفسرة لمزيد من الأفكار:**

- والأفضل أنكم تنظموا لهم حضور بعض حفلات الماتينيه بمسارحنا المختلفة، مش بس مسرح الطفل.. هناك أيضًا في الأوبرا حفلات جميلة، ولها مواعيد ماتينيه تناسب التلاميذ.

**نزار، بمنتهى الإعجاب:**

- هايل.. ربنا يقدّرنا وننفذ الأفكار الممتازة دي... ممكن تسمحيلي أكلم حضرتك، لأخذ الرأي في بعض أمور المدرسة والطلبة.

**نرمين، موافقة:**

- طبعًا يا د. نزار، تحت أمرك.

**نزار، موضحًا سبب طلبه:**

- أصل حضرتك ربيتي ندى أحسن تربية.. ويا ريت بنات الجيل دا يكونوا زيَّها.

**نرمين، في لهجة يشوبها أسى:**

- ندى.. ربنا يعوضها عن كل اللي راح منها.

**نزار، في لهجة تأكيد:**

- في الحقيقة ندى فتاة مثالية لأي شاب، وتستاهل كل خير.

**ينتهي اللقاء..**

**تنهض نرمين لتغادر مكتب د. نزار، وهي في سعادة بالغة..**

بينما كان نزار في غاية القلق، والشعور بعدم التوازن؛ خاصة بعد أن اقترب من نرمين، وأحس بعد زيارتها بمشاعر الإعجاب بآرائها وأفكارها، بالإضافة إلى إعجابه بجمالها وأناقتها ورقّتها.

تعود نرمين إلى المنزل، وتقوم بالاتصال بندى؛ لتطمئنها أنها أوصلت الأمانة بمنتهى الدقة إلى د. نزار.

**نرمين، مطمئنة لابنتها:**

- كله تمام يا ندى.. إنتي راجعة إمتى بالضبط ؟ وحشتيني أوي يا حبيبتي.

**ندى، في صوت به قلق:**

- بعد أسبوعين أو ثلاثة.. مش عارفة أعمل إيه في المدرسة؛ علشان الأولاد كده حايتأخروا في دروس الموسيقى.. أنا خايفة ينسوا اللي أنا علمتهولهم.

**نرمين، محاولة أن تطمئنها:**

- ربنا يستر يا بنتي.. حاولي ترجعي بسرعة.. على العموم كل شيء حا يكون تمام.. إنتي بس خلي بالك على نفسك وصحتك.. كُلي كويس، والبسي تقيل علشان خاطري.

**ندى، مطمئنة إياها:**

- حاضر يا ماما.. بحبك.. بوسة ليكي وليوسف وعادل.

بعد ذلك تذهب نرمين للاطمئنان على حفيدها يوسف، وتتابع مذاكرته، وتتحدث معه عن المدرسة وأصدقائه.

**يوسف، في بهجة:**

- عارفة يا نانو.. أنا بحب المدرسة أوي، وليّ فيها صاحب جميل اسمه كريم.. إحنا دايمًا مع بعض، وكمان بنغني سوا مع مامي في حصة الموسيقى.. نانو أنا عايز أعزم كريم عندنا في البيت، ممكن please؟

**نرمين، موافقة:**

- طبعًا ممكن يا حبيبي، بس نام دلوقتي، وبكره نكلم مامته ونعزمه.. يا للا نام بقى!!

تتجه نرمين إلى غرفتها بعد نوم يوسف، ولأول مرة بعد وفاة زوجها، تشعر بالوحدة دون وجود ابنتها ندى وابنها عادل، فتعاود قراءة قصة إلى أن تخلد للنوم.

*****

في صباح اليوم التالي في المدرسة.. تأتي المسئولة عن الصف الابتدائي، للمتابعة في غياب ندى، إلى مكتب المدير د.نزار؛ لتبلغه أن التلاميذ تأخروا عن سير المنهج، وأنه لابد من أستاذة بديلة؛ حتى يستطيعوا أن يعزفوا في حفل آخر العام الدراسي.

**قالت مس عفاف، معبرة عن سوء الوضع :**

- يا دكتور.. التلاميذ مش عارفين يركزوا في الأفلام، اللي ميس ندى بعتتها وكده مش حا يعرفوا يعزفوا في الحفلة.. لازم أستاذة بديلة تيجي بأسرع وقت.

**نزار، في صوت يشوبه القلق:**

- حاضر يا ميس عفاف، خليني أفكر في حل للمشكلة دي.

ومن هنا تأتي فكرة د. نزار أن يزور منزل ندى مرة أخرى، ويحاول إقناع نرمين هانم بأن تقوم هي بمتابعة التلاميذ، إلى أن تعود ابنتها ندى من فرنسا.

**وبعد ثلاثة أيام في مكالمة تليفونية، بين ندى ونرمين، دار هذا الحوار..**

**ندى في لهفة:**

- ماما نفسي أطلب منك خدمة، ويارب تقدري تعمليها؛ لأنه ضروري أمد فترة سفري، لاستكمال تدريباتي في باريس؟

**نرمين، مستفسرة:**

- قولي يا حبيبتي.. إيه الخدمة اللي إنتي عايزاها؟

- أنا اتصلت بالدكتور نزار، وطلبت منه مد فترة سفري.. بس التلاميذ كده محتاجين أستاذة موسيقى مؤقتًا. وفي الحقيقة.. مش حنلاقي أحسن منك يا أمي، ود. نزار قال لي إنه يتمنى إنك توافقي.

**نرمين وهي في غاية السعادة والدهشة والقلق لهذا الطلب:**

- بس يا ندى إنتي متأكدة إني حاقدر؟

**ندى، مؤمنة على كلامها:**

- طبعًا ياماما، أنا بأعلم اللي إنتي علمتهولي أنا وعادل.. إنتي أحسن أستاذة في الدنيا!!

**نرمين في صوت متردد:**

- طيب يا ندى- حاضر.. خليني أجرب وحأنشوف.

**ندى، بفرحة غامرة:**

- ربنا يخليكي ليا يا أحلى أم في الدنيا.

تحاول نرمين أن تعود إلى دروس الموسيقى، كما كانت في صغرها؛ كي تستطيع متابعة التلاميذ بالنيابة عن ندى، وبناءً على طلبها هي ود. نزار؛ حيث ستطول فترة سفرها إلى باريس، وبالطبع فترة غيابها عن المدرسة.

تتفق نرمين مع المهندس عماد، عمّ أولادها، لمتابعة العمل في المصنع؛ نيابة عنها، لظروف غيابها لحين عودة ندى.

تبدأ نرمين في الالتزام بالبرنامج اليومي في المدرسة، ومتابعة التلاميذ بكل حب، ومهنية، لدرجة أن التلاميذ لم يشعروا بسفر ندى، ولو ليوم واحد.

بالفعل، تكون تلك الأيام أسعد أيام حياة نرمين، وهي تسترجع دروس البيانو مع الطلبة.. تستمتع نرمين للغاية بوقتها في المدرسة، حتى أنها أحيانًا تمضي فترات الراحة، وما بعد الدراسة، تعزف الأعمال العالمية الكلاسيكية على البيانو. وتستمر في العطاء مع الأطفال في الرحلات، والحفلات والألعاب.

وفي إحدى الحصص، بينما يكون التلاميذ في انسجام تام مع المعلمة، يرفع تلميذ في الصف الثاني يده ويطلب:

- ميس نرمين!! ممكن نغني "ماما زمنها جاية" ؟؟؟؟

**تجاوب نرمين بكل حب وسعادة:**

- طبعًا حبيبي... يا للا بينا.....

وفعلًا، تبدأ في العزف وتقود التلاميذ للغناء. ثم تعزف بعفوية أغنية " ذهب الليل وطلع الفجر" حتى يندمج التلاميذ ويرددون ورائها بتلقائية وسعادة مليئة بفرح وإبتهاج

- " سوسو" و" نونو".

يتابع د. نزار باهتمام مجهود نرمين الكبير في جذب حب الطلبة للموسيقى، واندماجهم للعمل الجماعي في تحقيق النجاح في ضبط النوتة الموسيقية والصوت.

وبدأت نظرات نزار لها تتحول، من إعجاب شديد إلى حب ذات بريق خاص.

يأتي نزار للاستماع إليها مرة دون علمها، مرات ومرات وهي تعزف.. وهو يشاهدها ويستمتع. وكلاهما في حالة نشوة وسعادة وانجذاب متبادل، حتى أصبحا يمضيان معظم الوقت معًا.

تنشأ علاقة جميلة بين د. نزار ونرمين، تصل إلى حد مقابلات جماعية وفردية.

وتظهر علامات سعادة على كل منهما، لا يستطيعان إخفاءها في بعض الحالات.. ويقوم د. نزار بدعوة نرمين على الغداء، من حين إلى آخر، بالقرب من المدرسة مع يوسف وكريم، ويمضون أجمل أوقات حياتهما من رومانسية وعاطفة وحنان، بصحبة الولدين الصديقين.

وبمرور الوقت، تتطور هذه العلاقة إلى دعوة نزار لنرمين على العشاء، في مكان خالٍ من البشر، باستثناء ثلاثي موسيقي Trio في مطعم صغير..

تبدأ بينهما مشاعر متبادَلة؛ كلها دفء وحنان.. ويدعو د. نزار نرمين للرقص معه على أحلى أغاني المغني العالمي ديميس روسوس، وهي أغنية «تعالى .. أرقص معي»، وأغانٍ أخرى مليئة بالرومانسية والحب.

**نزار، في صوت يفيض رومانسية:**

- نرمين- إنت أجمل مَن رأيت في حياتي.. أنا دلوقتي بس صدقت إن ربنا استجاب لدعاء أمي العظيمة.. كانت دائمًا تدعي لي، وتقول: "روح يا ابني.. ربنا يسعدك"، وأنا دلوقتي أسعد واحد في الدنيا.

**نزار ينظر إلى نرمين نظرة بها خليط من العاطفة الجياشة والواقع الخيالي؛ ليعلن حبه الصادق لها، ويقول:**

- أنا بأحبك أوي يا نرمين...بأحبك من زمان - ومش مصدق إني معاكي وإنك في حضني وإننا بنرقص كده.

**نرمين، وقد انتابتها حيرة من أمرها:**

- في الحقيقة يا نزار.. أنا كمان مش عارفة أصدق اللي حصل، والحب اللي جمع بينّا.. دي معجزة.. أنا كنت فاكرة إني قمت بمهمتي كزوجة وأم، وخلاص فات ميعاد الحب..

**نزار، مؤكدًا رومانسيته:**

- لا يا فندم.. لسه بدري.. أمامك مهام كبيرة جدًّا كزوجة، أنا عايزك تسيبيني أدلَّعك.. أنا عندي كتير أوي علشانك.

**نرمين، بشيء من الفرحة والتساؤل معًا:**

- كنت فاكراك حتقول إني أعطي لك، مش إنك تعطي لي.

**نزار، بفرحة ملحوظة:**

- لا يا نرمين.. إنتي أعطيتي كتير أوي، وبسخاء وكرم بلا حدود – ودلوقتى جه الدور علينا كلنا.. وأولهم أنا؛ علشان أرجّع شوية من اللي إنتي أعطيتيه.. خليني أكون لكِ المصدر الجديد اللي تأخدي منه.

**نرمين، في صوت مبتهج:**

- أنا مش عايزة غير إنكم كلكم تكونوا سعداء.. ويا رب أكون بسعدك يا نزار.

**نزار، مؤكدًا:**

- يا خبر - دا إنتي خلتيني فوق السحاب، وأنا معاكِ مش شايف غير الحب.. الجمال.. العطاء.. الحنان... أنا اسمي الثلاثي دلوقتي سعيد– سعيد– سعيد.

**نرمين ضاحكة:**

- بس لأحسن أنا بقيت زيك فوق أوي، وبقى اسمي الثلاثي سعيدة– سعيدة– سعيدة...

**وضحكا الاثنان معًا، وهما يتراقصان على أنغام موسيقى الكمان في المطعم.**

تنظر نرمين إلى نزار بكل حب وعرفان؛ لأنه استطاع أن يحرك فيها ما قد أعتقدت أنها نسيته، بعد وفاة زوجها منذ ٢٥ سنة، ويتبادلان الكلمات والغزل واللمسات الرقيقة بكل حب وحنان.

نرمين تعود إلى المنزل في حالة من النشوة والسعادة الغامرة.. فهي لا تصدق أنها في حالة حب، وكأنها لا تزال شابة في العشرين من عمرها، وفي داخلها رغبة في إخفاء هذا الحب؛ خَجلاً من أبنائها من ناحية؛ ومن المجتمع والأصدقاء من ناحية أخرى.

ولكن لم يكن هذا موقف نزار، بل كان شجاعًا في حبه، ولأنه وجد أخيرًا حب حياته، ويريد أن يعلن عنه للعالم كله.

* * * * *

أما ندى، فقد كانت في أحسن حالاتها في باريس.. فهي تتعلم كل ما هو جديد في طرق تعليم الموسيقى في المدارس، وتتعرف إلى موسيقيين فرنسيين وأجانب هناك. وقد تكونت صداقة قوية بين ندى وصاحبة الفندق ذي الثلاث نجوم، مدام دومينيك، وهو الفندق، الذي تتعاقد معه وزارة الثقافة، حين ترسل بعثات ثقافية وعلمية إلى باريس.

صباحًا في الفندق، وبينما ندى تستعد ليوم جديد في باريس، بكل أعبائه.. ألقت ندى على مدام دومينيك تحية الصباح، قائلة:

**ندى:**

- صباح الخير مدام دومينيك.. كيف حالك؟

**مدام دومينيك:**

- صباح الخير مدام ندى.. الأمور على أحسن ما يرام.. أشكرك.. وأحب أن أدعوكِ إلى حفل زفاف ابنتي هيلين، هنا في الفندق، مساء غدٍ.

- يسعدني ذلك بكل سرور.

يأتي السيد چوزيف زوج مدام دومينيك، ليرحب بندى؛ حيث تقدمهما لبعضهما.

**مدام دومينيك، وهي تشير إلى زوجها، قائلة لندى:**

- هذا چوزيف زوجي العزيز..

**ندى مبتسمة:**

- صباح الخير مسيو چوزيف، مبروك لابنتكما هيلين.

**السيد چوزيف، مبتسمًا:**

- شكرًا لك.

بعد أن ذهب الزوج لمساعدة فريق الفندق، والإشراف على ترتيبات الحفل، قالت لها السيدة دومينيك:

- هذا زوجي الثاني، وليس والد ابنتي..

لقد تزوجته بعد طلاقي من أبيها.. زوجي الأول لم يكن يطاق، وكان لا يترك زجاجة الويسكي من يده.

شعرت ندى بالأسى لأجل السيدة، وفي الوقت نفسه، فكرت في طليقها شريف، الذي كان يتركها هي وابنها، ويلازم أصدقاء السوء ليتعاطى المخدرات طوال الوقت.

**أفاقت ندى من شرودها، لتقول للسيدة دومينيك:**

- ربنا عوضك مدام دومينيك.. أنا شايفة إنه بيحبك أوي.

**مدام دومينيك، بشيء من التأسي:**

- هو فعلاً أصغر مني بـ ١٥سنة، ولكنه يحبنى جدًّا، وهو اللي صمم على زواجنا؛ علشان يكون سند لي، أنا وابنتي، في كل شيء.

**ندى، في ابتسامة واضحة:**

- الشعور بالحب ما لوش سن يا مدام دومينيك.. ربنا يسعدكم.

**مدام دومينيك:**

- الحمد لله.. إحنا في غاية السعادة مع بعض.

بعد الحفل، عادت ندى إلى عملها في باريس، وفي خاطرها أن هناك فرصة أخرى للسعادة، بعد فشل زواجها الأول.

* * * * *

في صباح اليوم التالي، يتصل د. نزار بنرمين، التي كانت تقود سيارتها في طريقها إلى المدرسة..

**نزار، بصوت مرح:**

- صباح الخير يا أحلى أم وأحلى حبيبة، وأحلى سيدة أعمال، وأحلى أستاذة موسيقى و... و...

**تقاطعه نرمين قائلة:**

- بس بس - طيب... صباح النور يا أحلى مدير مدرسة.

**نزار، مشاغبًا:**

- طيب يا ستي، مقبولة منك التريقة دي!!

**نرمين، يعلو صوتها نافيًا ذلك:**

- لا أبدًا.. إنت أجمل ما حصل في حياتي.. صباح الخير يا نزار.

**نزار بجدية مفتعلة:**

- على العموم لحد دلوقتي، أنا حاسب تلت ساعة تأخير لسيادتك النهاردة!

**نرمين بالجدية نفسها:**

- يا فندم.. أنا في الطريق، وإن شاء الله حاكون في المدرسة خلال دقايق.

تستمر هذه العلاقة الرومانسية الدافئة، بين نرمين ونزار، وتتوطد دون أي مشكلات أو مفاجآت.. وتتألق نرمين في عملها الجديد كأستاذة موسيقى بنجاح..

وذات يوم في قاعة الموسيقى والمسرح بالمدرسة..

وبعد انتهاء اليوم الدراسي، لم تنصرف نرمين، بل بدأت في عزف مقطوعة "أنت عمري" للموسيقار محمد عبد الوهاب على البيانو، بعد أن عرفت أنها المقطوعة المفضلة لدى نزار.. يصل نزار، ويصفق لها بشدة، ويمسك يدها بكل حب وحرارة، وينظر إليها بكل عشق، ويقول لها بعينيه: "بحبك"، "بحبك"، "بحبك".

في هذه اللحظة تصل "عهد" طليقة نزار، وترى كل هذه السعادة في عينيْ زوجها السابق، الذي لم يعش مثل هذه اللحظة معها، طوال فترة زواجهما الكئيبة.. وتشعر عهد بالغيرة والغضب والمرارة، وتفقد الأمل في العودة إلى نزار، فقد جاءت لتبلغه بأنها قررت الزواج من رجل أعمال مشهور..

كانت عهد تأمل أن يرفض نزار هذا القرار.. وأن يحاول إصلاح ما بينهما.. ولكنها فوجئت بزوجها السابق في حالة حب عنيف، مع هذه السيدة عازفة البيانو، التي تعرفت إليها بمنزلها، عندما أهانتها ووبَّختها على ما اعتبرته سوء تربية لابنتها ندى.

تعاملت عهد معهما بكل عنف وقسوة، ووجهت لهما السباب والتجريح؛ مبررة ذلك بأن ابنها كريم لا يصح أن يرى والده في موقف غرام مع بنت في سن ابنته، ولا مع أمها التي في سن والدته!!

**عهد بمنتهى السخرية:**

- كريم كان بيحكي لي إنه دائمًا مع صاحبه يوسف عند ميس

ندى.. لكن ما كنتش أعرف إن أبوه دائمًا عند أم ندى كمان.. دي مسخرة وفين؟ في المدرسة!

**واستمرت عهد في الصياح في وجه نزار، قائلة:**

- أنا أول ما كريم ينهي الدراسة لازم يرجع الإسكندرية، ويعيش معايا، أنا عندي كل الإمكانات، ومش عايزة حاجة منك!!

وكانت عهد تتكلم بكل ثقة؛ لأنها سوف تتزوج من رجل أعمال معروف، أحد أغنى أغنياء الإسكندرية، كما تحكي عنه.

نزلت هذه المشادّة كالصاعقة على رأس نرمين، فعادت إلى المنزل، وهي في حالة شديدة من التعاسة والانكسار.. وقررت أن تنهي علاقتها بنزار نهائيًّا، وأن تعتذر عن استكمال مهمة التدريس، كمعلمة بديلة لابنتها ندى.

تسرع نرمين إلى غرفتها منهارة، وتنخرط في البكاء؛ لأنها لم تعرف الحب منذ أن مات زوجها.. وها هي دون تعمد منها، دق قلبها لهذا الرجل، الذي وجدته على أعلى مستوى من الرقي والحنان وسمو الأخلاق.

أما نزار، فقد عاد إلى منزله، وهو يشعر في قرارة نفسه بأنه بحاجة ماسّة إلى تقنين هذه العلاقة بارتباط رسمي، ويقرر أن يطلب نرمين للزواج..

يمر عليهما الليل بطيئًا، دون أن يغمض لأيٍّ منهما جفنٌ حتى الصباح.

في الصباح، يتصل نزار بنرمين باكرًا، ويصر على أن يتقابلا في كافيه صغير بجانب المدرسة.

وفي مواجهة بين نرمين ونزار، فوجئت به نرمين يطلبها للزواج رسميًّا، خاصة وأنها لم تُرِد أن يعرف أحدٌ بهذا الحب الكبير، الذي تُكِنّه له في قلبها.

**نزار فى لهجة مؤكدة:**

- نرمين.. أنا بحبك بجد، وعايز أعيش معاكي في النور... أنا عايز العالم كله يشوف الحب ده، ويحترمه.. أنا بحب كل حاجة فيكي.

**نرمين، بصوت هامس ومرتعش:**

- نزار.. أنا كمان عندي مشاعر كبيرة وعميقة أوي لك، ولكن الظروف ضد هذا الحب.. أنا أم لندى وعادل، وكل واحد فيهم محتاج المساعدة، والتفرغ.. وكمان يوسف ابن ندى، حفيدي، ما اقدرش أسيبه بعد كل ده، وأكون أنانية وأوافق على الزواج منك.

**نزار، في استنكار ودهشة:**

- معقول يا نرمين إنتي أنانية؟ حرام عليكي أنا عمري ماشفت أم زيك، ولا حاشوف إنسانة، فيها كل هذا القدر من العطاء.. إنتي أعطيتي شبابك وحياتك لأولادك، والحمد لله بقوا زي الفل، وكل واحد عنده حياته اللي تخصه وناجح فيها..

- طيب ما أنت عندك ابنك كريم ومامته.

**نزار، محاولاً تأكيد مقصده:**

- إنتي عارفة إن ابني كريم بيحبك أوي، وبيحب ندى وعادل جدًّا، وحيفرح علشان حايكون في حضننا مع يوسف، لأنهما أصحاب.. وزي الأخيْن، وياريت نلم شمل العيلة، وتكون عيلة واحدة يا نرمين.. أنا فعلاً بحبك، وما اقدرش أعيش من غيرك.. إنتي أصبحتِ كل حياتي، ومستقبلي معاكي إنتي وبس.. أنا عايز أعيش علشانك، وكمان عايز أموت علشانك.. أو بالأصح عايز أموت، وأنا في حضنك.

**نرمين في لهفة:**

- بعد الشر عليك يا نزار.. خلينا نفكر تاني، ونشوف الوقت اللي جاي، مين عارف حيكون فيه إيه!!

**نزار، موصيًا إياها:**

- لو لي خاطر عندك، أوعديني إنك حتفكّري بجدية في موضوع زواجنا.

**نرمين مؤكدة لما طلبه:**

- صدقني.. حأحاول علشان أكون أمينة معاك، وأفكر بجد.. بس في الحقيقة أنا كنت فاكرة إن الحب ده حلم مش حقيقة.. وما جاش على بالي خالص فكرة الزواج والارتباط، ولم شمل العيلة.

**نزار، في لهجة تساؤل:**

- ليه يا نرمين؟ إحنا المستقبل أمامنا، وكل شيء سهل وموجود-

أنا عندي كل الإمكانات، اللي تخلينا نعيش كلنا مع بعض في أحسن حال!!

**نرمين، موضحة مقصدها:**

- أنا أقصد الحياة الزوجية.. أنا نسيت يعني إيه زوج وزوجة.. يعني إيه واجبات زوجية. أنا سعيدة بعلاقة حب أفلاطوني، من غير أي التزام، أما ارتباط عميق أو حميم، مثل زوجين....

**نزار، مقاطعًا، ومنبهرًا، وضاحكًا:**

- أنا مش مصدق إن سيدة في سنك وخبرتك، تكون مكسوفة تتكلم عن العلاقة الزوجية! طيب إزاي نصحتي بنتك ندى لما اتجوزت؟ قلت لها تحب زوجها باللمس.. ولا تحبه بالهمس.

**نرمين، في خجل شديد:**

- يا سلام.. ما أنت عارف، الجيل ده مش عايز نصيحة.. أنا لاقيت ندى عارفة كل حاجة عن الزواج والعلاقات الزوجية، أكثر مني بكثير.

**نزار، محاولاً طمأنتها بصورة مرحة:**

- على العموم ياستي ما تحمليش هم المطبخ والغسيل.. أما توصيل الخدمات والانتقالات، فدا لازم أوفر لكِ سواق.

**نرمين، وهي تضحك بدورها:**

- يا سلام، طب الأجازات والفُسح؟ ما فيش!

**نزار، ممازحًا:**

- يا نرمين هانم.. أنا شايف إنك داخلة على طمع..

**يضحكان معًا، ويضمها إلى قلبه بشدة بين أحضانه، قائلاً:**

- أنا مش عبيط علشان أسيب الحضن ده يروح مني.. دا أنا أعمل المستحيل علشان تكوني في حضني إلى الأبد.

**نرمين مبتسمة:**

- يارب يا نزار ما اتحرمش من حضنك الدافئ ده.. أنا فعلاً نسيت يعني إيه حضن راجل يحبني وأحبه.. ويا رب ما فيش حاجة تفصلنا عن بعض إلا الموت.

**نزار، متأثرًا:**

- ربنا بيحبنا وعندي إيمان إننا حانعيش لسه شوية، علشان نشوف مع بعض الحب، اللي اتحرمنا منه وإحنا في عز شبابنا.

- على فكرة أنا لسه شباب جدًّا- ده حتى أصحاب ندى فاكرين إني أختها الكبيرة!!

**نزار ضاحكًا:**

- كبيرة إزاي- مش ممكن- قولي أختها الصغيرة.. هو في زيك جمال ورقّة، وعود غزال، وأناقة وشياكة.. تحفة- ممكن تديني حضن تاني؟

**نرمين، في توجس:**

- إحنا فعلاً بقينا زي المراهقين.. أنا خايفة حد يعرفنا، يشوفنا ويقول للأولاد.

**قال نزار ضاحكاً بصوت عالٍ:**

- يارب حد يشوفنا وتكون فضيحة.. ويبقى لازم نصلح غلطتنا!

**نرمين متعللة:**

- طب حاسيبك بقى وأجري على البيت؛ لأنهم حيقلقوا عليا، ومش حأ اعرف أقول لهم كنت فين، وليه التأخير ده!!

* * * * *

تعود نرمين إلى المنزل، وهي في حالة لا توصف من السعادة، ولكن يصاحبها توتر شديد؛ فهي لا تعرف أي إجابة، ولا تستطيع أن تأخذ أى قرار، دون الرجوع إلى ندى وعادل.

بعد لحظات، يرن جرس الهاتف، وتكون المتصلة ندى من باريس، لتبلغ نرمين بأنها نجحت في كل التدريبات، وأنها سوف تصل القاهرة خلال يومين.

**ندى:**

- ماما، أخيرًا.. أنا مش مصدقة إني حأرجع مصر.. وحشتوني كلكم.

**نرمين:**

- وأنت يا حبيبتى وحشتينا جدًّا، تعالي كلنا محتاجين لك هنا وفي المدرسة، والتلاميذ بيسألوا عليكي كل يوم.. في الغالب زهقوا مني، وعايزين أستاذتهم الجميلة.

**ندى، متسائلة بخبث:**

- المدرسة والتلاميذ بس.. وفين د. نزار؟

**نرمين ترتبك، وتحاول أن تجيب بطريقة طبيعية:**

- طبعًا هو أول واحد بيسأل عليكي!!

**ندى، في صوت فرح:**

- أنا عندي حاجات كثير أوي عايزة أحكيها لك يا أمي، لأني حاسّة إننا حنفرح قريبًا إن شاء الله.

**نرمين، بتوتر:**

- أوك يا حبيبتي.. تيجي بالسلامة.

تنهي نرمين المكالمة، وهي في قلق شديد.. بداخلها صراع مع نفسها، ومشاعرها متضاربة في هذه اللحظة، وتدور في ذهنها أفكار شتى.. ماذا تقصد ندى؟ هل تحب "نزار"؟ وهل حب نزار لها، سوف يعوق سعادة ابنتها ندى، ويجعلها تعيسة في حياتها، بعد فشل حبها الأول مع شريف؟

تجلس نرمين بمفردها في المنزل، تفكر بعمق في هذا الحب الجديد

المفاجئ، الذي زلزل كيانها، وجعل قلبها ينبض بالحياة، بعد أن كان فقد الأمل في إمكانية إحيائه. وتقول لنفسها: "معقول يا نرمين، قلبك يحب تاني؟ ومين ده.. اللي بنتك بتحبه"؟

رغم أن نرمين واثقة من حب نزار لها، إلا أنها لا تريد أن تكسر قلب ندى، وإن كانت حتى مجرد معجبة به فقط؛ فندى ابنتها أهم بكثير لديها من أن تستجيب للحب، حتى لو غمرَ حياتها بالسعادة.. تفكر نرمين في هذا الوضع الحرِج، كما تفكر في ابنها عادل مقدم الشرطة المتميز.. وهل سيشكل هذا الزواج إحراجًا لعادل في عمله؟ هل سيجرح مشاعره أن تعيش أمه، بعد هذا العمر، قصة حب، وتفكر جديًّا في الزواج؟!

ومما يزيد من صعوبة هذه الخطوة أن فارق السن بينهما كان حوالي ثماني سنوات.. وها هي نرمين بعد أن كانت في قمة سعادتها، وغارقة في حالة من الحب والنشوة، تبدأ مشاعر الحيرة والقلق تساورها، وتقل من راحتها.

وبعد ساعات من القلق والتفكير المتواصل، تستسلم نرمين للنوم لتستيقظ كعادتها باكرًا لتبدأ يومها بالصلاة.

**نرمين، وهي تصلي:**

- يارب اعمل اللي فيه خير للكل، وخليني أنا آخر واحدة، بعد ما أطمئن على كل اللي حواليّا: ندى، وعادل، ويوسف، ونزار، وكريم.. وكل اللي بحبهم.. يارب، هو أحسن حاجة إنه يكون حب أفلاطوني..

يارب ساعدني على إخفاء مشاعري في قلبي، وخلّيني أكون الأم الحكيمة، اللي تقدر تعطي أولادها حياتها وقلبها، كما كنت دائمًا.. يارب.. يارب.

* * * * *

في المدرسة صباحًا؛ كان د. نزار يجلس في صالون مكتبه، بعد صعود التلاميذ إلى فصولهم، وانتظام اليوم الدراسي.. يقوم بالاتصال بشريف، طليق ندى:

- طمّني يا شريف، أخبارك إيه؟ كله تمام عندك؟

كان شريف يواعد "د. نزار" بانتظام خلال الفترة الماضية، أثناء مثوله لبرنامج العلاج من الإدمان بالمركز في الغردقة.. وكان د. نزار يسانده ويشجعه؛ حتى يستطيع أن يسترجع أمجاده الرياضية، التي حقق فيها البطولات، وكانت السبب الرئيس لإعجاب ندى به.

عند اتصال د. نزار، كان شريف في جلسة علاجية مع الدكتورة مريم، فاستأذن منها للرد على د. نزار؛ فسمحت له بذلك.

**قال شريف مبتهجًا:**

- أنا أحسن كتير يا د. نزار- السموم اللي في جسمى تقريبًا راحت، حتى وزني زاد شوية، وبأحاول التزم في المشي. وإن شاء الله حأبدأ تمارين التنس الأسبوع القادم؛ لأسترد لياقتي مرة أخرى، إن شاء الله!

**د. نزار فرحًا:**

- أيوه كده يا بطل.. لازم نرجع أمجاد أيام الجامعة.. عاوزين بطولة مصر والعالم!!

**شريف ضاحكًا:**

- مش أوي كده يا دكتور.

**نزار، بشيء من القصدية:**

- على فكرة ندى تكلمت، وقالت إنها حاتوصل مصر الخميس ده، خليك جاهز يا شريف.. عاوزين نفرح!

**شريف، مؤكدًا جديته:**

- صدقني.. أنا بحاول أتغير.. المكان هنا جميل ومريح جدًّا. مش عارف أشكر حضرتك أد إيه.. كلهم هنا بيعاملوني أحسن معاملة علشان توصية حضرتك.

**نزار، بصوت تملؤه الثقة:**

- ربنا معاك يا ابني، وترجع من الغردقة، وأنت أحسن من الأول في كل شيء، إن شاء الله.

**شريف، بصوت به بعض الحياء:**

- يوسف ابني عامل إيه؟ واحشني.. ممكن أزوره، وإمتى؟!

**نزار، موافقًا:**

- تعال بكره قبل ما ندى توصل، وشوف يوسف براحتك.. وخلينا ننتظر شوية على مقابلتكم، أنت وندى ويوسف مع بعض!!

**شريف مبتهجًا:**

- موافق يا د. نزار، بكره الصبح حاكون عند حضرتك.

**نزار، مرحبًا:**

- وأنا حاكون في انتظارك يا بطل.. سلام.

**بعد هذا الاتصال، تنظر د. مريم إلى شريف نظرة حنان وتفاؤل، وتقول:**

- نفسي أقابل د. نزار، هو صديق عزيز للدكتور أحمد مدير المركز، ودائمًا باسْمع عنه كل خير، وإنه راجل بيؤمن بأهمية الفن والثقافة للارتقاء بالإنسان.

**شريف، مؤكدًا كلام د. مريم:**

- فعلاً يا دكتورة، هو شخصية رائعة، وإليه يرجع كل الفضل في إنه عرَّفني بكم.. وهو كمان مدير زوجتي (طليقتي) في المدرسة، اللي ابني فيها.

**د. مريم:**

- احكيلي يا شريف عن عائلتك؟ أنا فهمت من د. أحمد إنك منفصل عن زوجتك وابنك!!

**شريف، بشيء من التردد:**

- في الحقيقة، ندى لما كانت مراتي، تحملتني كتير أوي، كتر خيرها.. إحنا كنا أسعد زوجين .. حبينا بعض من أيام الجامعة، ولكن الله يجازي اللي كانوا السبب في تحوّلي إلى وحش.. كنت بتعارك معها علشان الإدمان، ولما يحين ميعاد الجرعة، كنت ببقى معاها مجنون ومجرم!!

**د.مريم في ابتسامة خفيفة:**

- الحمد لله إنك عارف الحقيقة، وبتعترف بها.. ودي خطوة مهمة للشفاء السريع من الإدمان.. أنا حأصلي للرب من كل قلبي، إنك تتعافى سريعًا، وترجع إلى زوجتك وابنك يوسف، وتكون بداية حياة جديدة، كلها حب وأمان، وأحسن من الأول.

**شريف، في صوت مشوب بالأمل:**

- يا ريت يا د.مريم.. يا ريت ندى تسامحني، وتنسى كل البهدلة، والعذاب اللي شافته معايا، وقت إدماني للسموم دي.

**د. مريم، بثقة:**

- أنا متأكدة أنها حاتسامحك.. إنت شاب محترم وبتحبها، وأديك بتحاول بكل الطرق تتعالج، وعندك إيمان وثقة بالله، إنه لا يمكن حيضيع عليك الفرصة دي!!

**شريف، في تعبير واضح عن الامتنان:**

- يا د. مريم، إنتي غيّرتي فيَّ حاجات كثير قوي.. أنا حاكون دائمًا مديونًا لكِ ولكل صلواتك؛.. ربنا أكيد بيسمعك- إنتِ مش دكتورة شاطرة ومخلصة لعملك وبس، إنتِ تمتلكين نقاء قديسة.. ويا بخت اللي حيرتبط بكِ..

وبالمناسبة.. عندي ليكِ عريس ممتاز. المقدم يوسف رجل شرطة بمعنى الكلمة- أنا كنت الأول متحفظ عليه بالذات، لمّا مراتي أسمت ابننا على اسمه- أصله أعز صديق لأخيها عادل، بس بعد ما عرفته وعاشرته هو وعائلته الجميلة، بقيت أحبه جدًّا.. وحكون سعيدًا جدًّا من أجله، لو حصل، وكان لكم نصيب مع بعض.

**د.مريم في تعبير مماثل عن الامتنان:**

- أشكرك يا أستاذ شريف على المحاولة الرقيقة لعمل دور الخاطبة.. لكن أنا زي ما قلت لك قبل كده: أنا وهبت حياتي لخدمة ربنا، وخدمة الشباب اللي زيك، علشان أساعدهم يعيشوا حياة أفضل، بعد الشفاء من الإدمان!!

**شريف؛ في محاولة للاعتذار:**

- أنا آسف لو كنت تجاوزت، وبخطط لحياتك، ما كنتش أقصد!!

**د. مريم، معتذرة:**

- لا؛ يا أستاذ شريف، ماكنش ده قصدي.. أصل أنا عاهدت ربنا إني أكمل حياتي كده، لحد ما أقابل أخويا وأمي وأبويا عند أبويا السماوي.

**شريف، متمنيًّا:**

- ربنا يكبر إيمانك أكثر وأكثر؛ صلي لأجلنا يا أخت مريم.

تبتسم مريم بكل حب وبراءة، ويتجهان معًا إلى صالة الاستقبال بالمركز.. فجأة يتوقف شريف، ويلتفت إلى الدكتورة مريم، وفي تردد شديد يسألها:

- ممكن أطلب منك طلب غريب ؟

**د. مريم، في قبول تام:**

- طبعًا.. تفضّل.

- ممكن أزور أي دير قريب من هنا؟!

**د. مريم، مبتسمة:**

- طبعًا، وخصوصًا إن طريق الغردقة فيه أديرة كثيرة.. حضرتك عارف إن منطقة البحر الأحمر، هي منبع الرهبنة القبطية في مصر وفي العالم.. فيها دير الأنبا أنطونيوس (أول رهبان العالم)، وديره هو أول دير في العالم، بُني في القرن الرابع الميلادي، على سفح جبل الجلالة.. مكان كله بركة ونعمة– أنا بروح كثير لطلب الراحة فيه، وأصلي لكل الشباب المتعثرين، وكمان علشان ربنا يمد إيده ويشفيهم - وفي دير الأنبا بولا كمان، وهناك أبونا يوحنا بركة كبيرة، وأنا أعرفه كويس.

**شريف، يتساءل في تردد:**

- طيب ممكن أقابله، وأتكلم معاه؟

- طبعًا ممكن- أنا حأكلمه واتفق معاه على ميعاد معاك، في أقرب فرصة.

ويدخل الاثنان إلى صالة المركز.

**د. مريم، وهى تستأذن من شريف:**

- حاسيبك تستريح بقى شوية.. النهاردة عملنا شغل ممتاز.

* * * * *

أما في مكتب د. نزار.. بعد مكالمة شريف..

يصل د. عمرو، صديق نزار المقرب جدًّا منه، إلى المكتب؛ ليجده شارد الذهن، يفكر بعمق شديد، لدرجة أنه لم يلاحظ دخول صديقه د. عمرو، أو حتى الصوت الذي أصدره.

**د. عمرو، بعد انتظار غير قصير:**

- معقولة يا نزار!! أنت فين؟

أنا بقالي أسبوع، مش عارف أكلمك ولا اشوفك! أنت فين يا راجل يا محترم؟

**نزار، سعيدًا بالمفاجأة:**

- أهلاً يا عمرو.. أنا آسف يا صاحبي، الوقت كان سارقني الفترة اللي فاتت.

**د. عمرو، ملمحًا:**

- اللي واخذ عقلك يا دكتور.. دا أنا وقفت شوية كتار على باب المكتب، لحد ما خدت بالك مني!!

**نزار، مؤكدًا:**

- أنا فعلاً عقلي متلخبط، ومش عارف إيه إللي جرالي.

**د. عمرو، ملمحًا هذه المرة إلى قصة ندى:**

- طبعًا يا عم.. من لاقى أحبابه نسي أصحابه، لازم ندى- هي على العموم بنت رقيقة وشاطرة وحلوة وصغيرة، وأهم من كده إنها معجبة بحضرتك جدًّا، واحتمال كبير تكون بتحبك برضه!

**نزار، مفاجئًا صديقه:**

- بس أنا بحب أمها يا صاحبي..

دي أول ست تحرك فيَّا مشاعر حب كبير، مليان حنان وعاطفة وعطاء.

**د. عمرو، باندهاش:**

- أنت بتتكلم جد يا نزار- أنت فعلاً، بتحب أمها نرمين هانم؟

**نزار، مؤكدًا:**

- أيوه يا صاحبى- أنا بحبها حب جنون..

أنا لما أعجبت بندى... حبيت فيها الحنان والعطاء، اللي هما، في

الأصل، حنان وعطاء نرمين.. عجبني فيها عقلها، ووطنيتها، ودول اللي أصلاً واخداهم من تربية نرمين..

شدّني فيها التزامها وضميرها وجهدها في العمل، ودول كمان أصلاً اللي تعلمته من أمها، كقدوة في الحياة..

شفت الأم بقى رائعة أد إيه!!

**د. عمرو، وهو لايزال مندهشًا:**

- بس يا نزار، نرمين هانم أكبر منك بكثير؟

**نزار، معارضًا:**

- لا.. يا عمرو، ما فيش في الحب فارق سن.. أنا عايز أتجوزها يا صاحبي، وأعيش معاها العمر اللي باقي لينا.

**د. عمرو، متسائلاً:**

- يا ابنى إيه اللي جابرك تتجوز واحدة أكبر منك؟ بدل ما ترتبط بالصغيرة، تجري على أمها اللي فوق الخمسين؟ دي أد أمك!!

**نزار ضاحكاً:**

- لو كانت في عمر أمي، تكون اتجوزت، وهي عندها ٥ سنوات، علشان تخلفني وهي عندها ٦ سنوات!!

أنا يا صاحبى عملت أكبر خطأ في حياتي، لما أتجوزت "عهد"، وهي أصغر مني بـ ١٥ سنة، وسمعت كلامك وكلام أمي، لما رشحتها لي علشان أجدد شبابي، وأبني أسرة كبيرة وسعيدة..

لكن اكتشفت أنها أكبر غلطة عملتها في حياتي، والضحية هي إن ابني كريم- أصبح وحيدًا، ملوش إخوات....

**يصمت د. نزار قليلاً من فرط تأثره باستعادة ذكريات غير سارة، ثم يواصل قائلاً:**

- يا صاحبي، عمر ما كان الحب له سن..

الراجل العاقل الحكيم لما يتم الأربعين والخمسين، بيدور على الحنان والدفء والعاطفة والاستئناس، والعطاء..

لكن الراجل اللي يحب يرقص ويتنطط مع البنات الصغيرة، علشان يحس إنه لسه شباب، وعنده معجبات، يكون راجل بيكذب على نفسه؛ لأن أي بنت حترتبط به بعد كام شهر أو سنة، حتروح لشاب زيها يرقص ويلعب معاها، وحتسيب الكبير للكبار.. ومن هنا حيفوق، ويدرك أنه ارتكب أكبر غلطة؛ لأنه كان "أناني"، وكان عايز يرجّع شبابه وبس...

وعلى العموم، نرمين، حتى وهي بعد الخمسين زي القمر.. جميلة ورقيقة، وذات قوام ممشوق ورشيق..

أنا بشوف فيها الجمال الطبيعي، اللي ما فيش فيه عمليات تجميل، ولا حاجة صناعي، دا بالإضافة إلى جمال روحها وقلبها الكبير!!

**د. عمرو، في صوت يقر بالحقيقة:**

- من جهة جمال وأناقة وعود غزال، أنا متفق معاك مئة في المائة.. أنا قابلتها مرة في المدرسة، افتكرت إنها مُدرسة جديدة في الثلاثينيات من عمرها.

**يواصل د. نزار حديثه، وكأنه يكلم نفسه بصوت عالٍ:**

- أنا عايز أتزوج نرمين، مش بس لأني بحبها، ووجدت فيها روحًا جميلة، كلها محبة وعطاء، كل اللي أي راجل يتمناه..

ولكن أنا عايز أكون مسئولاً عنها- عايز أسعدها وأحافظ عليها- الست دي ضحت بكل عمرها وشبابها؛ علشان أولادها وشغلها ومبادئها..

ضحت بكل أحلامها الفنية ومواهبها؛ علشان تعطي أولادها كل شيء؛ من أمان مادي، واستقرار معنوي، وبكل حنان وحب!!

أنا حبيت فيها كل حاجة حتى سنها، لأنها ست ناضجة وحكيمة.. نرمين بتجمع بين كل شيء حلو وصح..

أنا يِمكن أعجبت بندى الصورة، ولكن حبيت نرمين الأصل.

**د. عمرو، في مسحة من سخرية:**

- طب، وهي رأيها إيه يا مغرم القرن؟

**نزار، في شيء من القلق:**

- طبعًا هي مترددة جدًّا وخايفة من رد فعل أولادها، وكمان من المجتمع المحيط بها.. بس أنا متأكد إنها حتوافق في النهاية؛ لأن الحب اللي بيننا كبير أوي أوي... أكبر من أي سن، وأقوى من أي ظرف.

**ويكمل د. نزار الكلام بكل جدية:**

- عمرو، إنت مش ممكن تصدق إزاى الست دي عظيمة ونبيلة

كده.. أنا مش متخيل حياتي من غيرها.. أنا ممكن أموت لو بعدت عنها.. بجد ممكن أموت.. يارب إن شاء الله.. حتوافق على جوازنا.

**د. عمرو، في صوت يملؤه السعادة من أجل صديقه:**

- أنت كده فعلاً بتحبها من كل قلبك، وربنا يسعدكم يا صاحبي.. بس أنا عايز أكون أول شاهد على زواجكم.

**نزار، وقد علت وجهه ابتسامة عريضة:**

- نفسي أكون لها السند والراجل اللي يشيلها ويسعدها..

أنا حاسس نحوها، مش بس بالحب، ولكن بالواجب كمان..

أنا بطلب من ربنا أنه يقدرني، وأقدر أسعدها، زي ما هي أسعدتني وأعطتني فرصة ذهبية؛ لأكون إنسانًا سعيد فعلاً بمعنى الكلمة.

**د. عمرو، مؤمنًا على كلام صديقه:**

- خلاص يا عم.. أنا شايف إنك تتّكل على الله وتنطلق.. إمتى الفرح؟

**نزار، وهو ينظر إلى صديقه نظرة تفاؤل:**

- إن شاء الله قريبًا.. نَفَسَك معانا يا صاحبي.. حتروح مني فين؟!

*****

# الفصل السادس
# الشهيد

كان المقدم عادل في مقر عمله، داخل مكتبه بقسم شرطة الدقي.. عندما رن جرس تليفونه الخاص.

**عادل:**

- أفندم.. مين؟ مونيكا؟ فيه حاجة؟

**مونيكا باكية بشدة:**

- عادل.. تعال بسرعة.. بيقولوا إن يوسف مصاب في مستشفي الشرطة، جنبك في العجوزة، قابلني هناك بسرعة..

**عادل، في أشد الارتباك:**

- فورًا.

يطلب عادل من زملائه سيارة شرطة بسائقها، ويغادر المكتب مهرولاً، في هلع وسرعة فائقة، ليصل إلى المستشفى في أسرع وقت ممكن..

يجتاز باب المستشفى، ويسأل عن غرفة يوسف لويس...

يدخل إليه وحده، ليرى يوسف ممددًا على فراش الموت، مصابًا بطلقات رصاص في كل جسده، ولا أمل في إنقاذه للأسف، حسبما أخبرهم الطبيب المعالج.

**عادل، بلهفة وخوف:**

- يوسف.. يوسف حبيبي.. خليك معايا يا يوسف.. يا صاحبي ورفيق عمري، وشاهد على كل أيام طفولتنا وشبابنا.. (ثم يبكي بكاءً حارًّا).. يوسف.. يوسف!

ينظر يوسف إلى عادل بكل حب وحنان، ويحاول أن يمسك بيده، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة؛ تاركًا عادل حائرًا في صدمة وذهول.

وفي حلقه غصة مرارة الفراق وقسوة الموت، الذي كان يقترب بشدة.

تصل مونيكا لترى "عادل" راكعًا عند فراش يوسف، باكيًا كالأطفال، ومنهارًا، لا يستطيع أن يتنفس.

**عادل، يردد في هيستيريا وحزن عميق:**

- يوسف- يوسف- ارجعلي يا أخويا.. يوسف.. يوسف!!

لم تستطع مونيكا أن تستوعب الموقف؛ فهي لا تصدّق أن يوسف أخاها قد فارق الحياة، وتنظر إلى عادل نظرة انتظار؛ لعل يوسف يقوم أمامها مرة أخرى.. وينظر عادل إلى مونيكا نظرة حزينة منكسرة؛ فترتمي في أحضان عادل باكية بكاءً مريرًا، بعدما تأكدت أن أخاها يوسف قد رحل عن عالمنا بلا رجعة.

يصل والد يوسف ووالدته إلى المستشفي، وهما في حالة من الذعر والهلع.. يصلان إلى الحجرة التي يرقد بها يوسف.. الحزن يلف المكان.. وتصرخ أمه صرخة نابعة من أعماق قلبها المجروح :

- يوسف.. ابني.. ابني حبيبي.. ابني.. ابني...

**يجذبها زوجها، ويقول:**

- "ابنك شهيد يا أم يوسف.. ابنك شهيد، زي ما كان عايز.. طول عمره، كان عايز يموت شهيد.. وربنا أكرمه بيها وإداه الشهادة!!".

ثم يرفع وجهه إلى السماء، ويقول:

-"يا رب، صبِّرنا على فراقه!".

ينتهي مشهد المستشفى..

وينصرف عادل عائدًا مع عائلة يوسف إلى منزلهم...

يتم استكمال إجراءات الدفن ومراسم العزاء..

* * * * *

في مساء اليوم التالي...

تعود ندى من باريس على طائرة "مصر للطيران"، مرتدية ملابس سوداء ونظارة سوداء، تملأ الدموع عينيها حزنًا على رحيل أعز صديق لأخيها، والذي كان بمثابة أخٍ لها أيضًا...

لقد أسمت ابنها يوسف على اسمه، وكان الشهيد يوسف، دائمًا

فخورًا بذلك، متنبئًا ليوسف الصغير بأن يصبح من علماء مصر الكبار في مجال التكنولوجيا.

كانت نرمين هانم في انتظار ندى ابنتها في المطار، لتأخذها في حضنها ساعة الوصول.. وعند التقائهما، أخذتها في حضنها، وبكيتا على رحيل يوسف بحرقة شديدة، ثم ركبتا السيارة، عائدتين إلى البيت.

**ندى بتأثر شديد:**

- أول مرة عادل ما يجليش المطار!!

**نرمين، كأنها تقرر واقع ما حدث:**

- يا حبيبتي.. هو مع عائلة يوسف، مش قادر يسيبهم.. أنا بصلّي لربنا إنه يُلهم أمه وأبوه وأخته مونيكا الصبر- الله يكون في عونهم!!

**ندى، في صوت حزين للغاية:**

- يا حبيبي يا عادل.. الله يرحمك يا يوسف.

**ندى تسأل أمها:**

- عادل عامل إيه؟ ربنا يستر يا ماما..

أصل عادل حساس أوي، وكان بيحب يوسف، كأنه أخوه بالضبط!!

**نرمين، في لهجة مواسية:**

- قولي يا رب.. يوسف شهيد فداء لبلده.. وربنا يصبر أهله.

**ندى، في سؤال مفاجئ:**

- طيب يوسف الصغير ابني.. عامل إيه؟

ده كان بيموت في يوسف ومونيكا أخته...

**نرمين، في تنهيدة واضحة:**

- الحمد لله، هو طول الوقت مع كريم ابن د. نزار، بيحبوا بعض أوي.. فكروني بعادل ويوسف زمان، لما كانوا في نفس السن...

**ندى، كأنها تتذكر:**

- وأخبار د. نزار إيه؟ واحشني جدًّا..

مِرْسِي يا ماما على كل اللي عملتيه في المدرسة علشاني؛ فعلاً حسيت كأني كنت موجودة وأحسن!!

**نرمين، في حالة توتر وقلق، وهي تفكر في حبها لـ "نزار":**

- الحمد لله إنك رجعتي يا ندى؛ علشان تكملي مشوارك مع الأطفال الموهوبين دول!! و أنا كمان أرجع الشغل وحياتي الروتينية.

**ندى، بصوت يملؤه التفاؤل:**

- أيوه يا ماما.. أنا عندي أحلام كثيرة، وإن شاء الله حنوصل للعالمية.

**نرمين، في دعاء واضح:**

- يارب يا بنتي.

تصل بهما السيارة إلى المنزل، وتصعدان معًا إلى صالة المعيشة بالمنزل، فتجدان "يوسف" و"كريم" يلعبان البلاي ستيشن على الكمبيوتر..

**يركض يوسف إلى ندى حالما يراها، وتفتح ذراعيها لتعانقه، قائلةً:**

**- يوسف.. حبيبي، وحشتني أوي**

**ثم توجه الكلام لكريم:**

- إزيك وحشتني أنت كمان أوي.. هو مفيش واجبات ولا إيه؟

**يوسف، مبتسمًا:**

- مامي - مامي - وحشتيني.. إحنا منتظرينك؛ علشان تذاكري لينا. وكريم حينام معانا كمان.

**ندى، وهي تبتسم بدورها:**

- يا يوسف.. يا شقي، يا للا.. لازم تناموا حالاً.

**تتدخل نرمين قائلة:**

- يا للّا يا ندى.. لازم تستريحي وتنامي بدري؛ علشان الجنازة بكره الساعة التاسعة صباحًا.

**تجاوب ندى:**

- حاضر.. يا أمي.

وتتجه إلى غرفتها، وهي في غاية الحزن والأسى على وفاة يوسف.

* * * * *

في الصباح الباكر..

يبدأ القداس الإلهي في الكنيسة، وتتبعه صلاة القس حول جسد الشهيد يوسف...

كانت نرمين هانم جالسة بين الحاضرين، ومعها ندى وعادل، وهو يمسك بيده يوسف ابن ندى..

يصل شريف بكل وقار واحترام؛ ليجلس بهدوء خلف عادل..

تلاحظ ندى وصول شريف بهذا الشكل المتميز؛ حيث تراقب أخاها عادل، وتتابعه عن بعد؛ تحسبًا لأي انهيار منه أو تصرف منفلت، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، لا يحتملها الموقف.

**في الموعظة، يقول القس أبونا يوحنا:**

أقدم عزائي للأسرة الكريمة الفُضلى، أسرة المهندس لويس عبد الله؛ فقد عرفتُ ابننا يوسف منذ الطفولة، وهو تلميذ في مدارس الأحد..

كان يوسف طفلاً مطيعًا ومسالمًا، يحب أصدقاءه، ودائمَ الابتسامة..

كبَرَ يوسف بيننا، إلى أن أصبح خادمًا معنا في مدارس الأحد، وفي أعمال الكنيسة الخيرية..فكان دائمًا يعطي، لا من ماله فقط، ولكن من وقته وعلمه إلى الآخرين المحتاجين..

كثيرًا ما كان يوسف يدعو أصدقاءه، إخوتنا المسلمين إلى الانضمام لخدمة القوافل مع الفقراء والمرضى، دون أي تعصب أو تمييز.

كان يوسف دائمًا مثالاً للإنسان المتواضع العطوف، الذي يحب دون مقابل..

كنت أعتبره مثلاً أعلى للشباب في الأيام الحالية، فكان يقول يا أبونا، أنا ما استاهلش التكريم ده.. صلِّ لأجلي أنا الخاطئ..

وآخر مرة شفتُه، كان في قداس يوم الأحد الماضي، وتكلمنا كثيرًا عن عمله في الشرطة، وقد إيه هو سعيد بخدمة بلده وإخوانه.. قال لي يوسف، ساعتها، إنه على أتم استعداد إنه يموت شهيد؛ علشانهم بطيب خاطر ونفس راضية.

وكما قال السيد المسيح " ليسَ لأحدٍ حبٌّ أعظمُ من هذا: أن يضعَ أحدٌ نفسَه لأجل أحبائه"..

ضحّى يوسف بحياته علشان يحمي زملاءه في الخدمة، من غير تمييز بين مسلم أو مسيحي.. كلهم أحباء، اجتمعوا على حب الوطن..

الحب ليس فيه تمييز؛ لأنه نابع من حب الوطن وحب الرب..

وحب الله أعظم حب، ليس فيه تمييز؛ فهو يشرق بشمسه وينزل بالمطر على كل البشر.. لقد تعلمنا الفداء والتضحية من السيد المسيح؛ إذ كان المثل الأعلى لنا جميعًا في ذلك..

يا أحبائي، كلنا سوف نفتقد يوسف الابن البار، ولكن لا نحزن مثل الباقيين، لأن لنا رجاء القيامة مع المسيح.. وكما قال الرسول بولس لأهل فيلبي: "لي اشتياق أن أنطلق، وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًّا".

استشهد يوسف من أجل الدفاع عن وطنه، وفداء لأرواح زملائه في الشرطة، مات علشان الكل يعيش...

ونحن جميعًا نفتخر به، ونقدم كل العزاء إلى كل أفراد أسرته وأقاربه وأصدقاءه وزملائه، وسوف نلتقي جميعًا في الملكوت، عمّا قريب إن شاء الله.

**ثم يختم القداس، ويقول:**

- كما علمنا السيد المسيح، نصلي بالصلاة الربانية، التى أعقبتها الترانيم..

**أبانا الذي في السماواتِ.**

**ليتقّدس اسمُك. ليأتِ ملكوتك.**

**لتكُن مشيئتُك. كما في السماءِ كذلك على الأرض.**

**خبزنا كفافنا أعطنا اليومِ.**

**وأغفرْ لنا ذنوبَنا كما نغفرُ نحنُ أيضًا للمذنبين إلينا.**

**ولا تُدخِلنا في تجربةٍ. لكنْ نجِّنا من الشّرير.**

**بالمسيحِ يسوع ربِّنا، لأن لكِ الـمُلكَ والقوةَ والمجدَ إلى الأبدِ.**

**آمين**

بعد انتهاء الصلاة والترانيم، تقدّم عادل لتعزية والد يوسف، وهو يقول له:

-يا أنكل لويس.. يوسف مش بس شهيد.. هو كمان ملاك، وأنا متأكد إنه حاليًا مع القديسين والشهداء والأبرار في الملكوت.

**والد يوسف، في حالة بكاء شديد:**

- عادل، يا حبيبي، أنت ويوسف أجمل هدية لمصر.. وأنا واثق أن يوسف في السما.. لكن (باكياً) الفراق صعب يا ابني، ربنا يصبرنا كلنا، ويصبّر أمه الغلبانة دي.

**عادل، وصوته يختنق بالعبرات:**

- يا أنكل لويس.. يوسف ممتش، وتأكد حضرتك إننا كلنا هنأخد بثأره قريبًا جدًّا إن شاء الله.

تأتي نرمين وابنتها ندى، ومعهما يوسف الصغير للتعزية، وهم في غاية الحزن والأسى، ويصطحبهم عادل إلى السيارة، بعد الصلاة في الكنيسة.

يقوم شريف بتقديم التعزية أيضًا للأسرة، ثم يأخذ سيارته للعودة إلى المركز للمتابعة.

* * * * *

في الصباح التالي...

يذهب شريف وبرفقته د.مريم إلى دير الأنبا بولا..

وهناك يلتقيان بالأب يوحنا.. كما رغب شريف في ذلك..

**قال شريف بادئًا الحديث:**

- يا أبونا في الحقيقة، أنا عملت خطايا كثيرة أوي، وحاسس إن ربنا مش حيسامحني، وكمان إن عائلتي مش حترضى ترجع تعيش معايا.

**أبونا يوحنا، مطمئنًا:**

- يا ابني، كلنا خطاة.. ولكن ربنا رحمته واسعة – ألم تسمع قول السيد المسيح: "من منكم بلا خطية.."... إحنا معتمدين على نعمته وستره علينا.

**شريف، في صوت مليء بالرجاء:**

- صل لي يا أبونا.. د.مريم قالت لي إن حضرتك بتصلي لكل المرضى والمدمنين، اللي بيتعالجوا عندها.

- ربنا سامع صلاة كل مؤمن.. المهم إنها تكون صلاة من القلب، بكل اتضاع وانكسار.

تنتهي المقابلة..

وفي طريق العودة إلى المركز، يتحدث شريف مع د. مريم؛ ويعبر لها عن شعوره براحة وطمأنينة، قائلاً:

- أنا بجد حاسس إني أحسن كثير.. أشكرك يا د.مريم على ترتيب الزيارة الجميلة دي.

**د.مريم، بصوت يمنح الثقة:**

- ربنا موجود في كل مكان يا أستاذ شريف.. بس الأهم إنه يكون موجود في قلوبنا وأعمالنا!!

**شريف مستبشرًا:**

- أنا اتباركت أوي- وإن شاء الله لازم أعرفك بـ «ندى» مراتي- ويوسف ابني- وكمان حماتي نرمين هانم وعادل أخو ندى- أنا بحبهم كلهم أوي- ويارب يسامحوني على كل مشكلة وفضيحة تسببت لهم فيها.

* * * * *

في منزل نرمين، استيقظ عادل باكرًا، ليجد والدته مستيقظة كالعادة؛ لتصلي باكرًا..

**قالت نرمين عندما رأته:**

- تعالَ يا عادل.. تعالَ يا حبيبي.. رايح الشغل من غير فطار؟!

**عادل في صوت متأثر:**

- صباح الخير يا أمي يا حبيبتي..

نفسي تفطري مرة على البحر، أو على النيل في جو هادي ورومانسي.. وتنسي عادل ومشاكله، وندى وحكايتها.

كان عادل يريد بذلك أن يوصِّل رسالة إلى أمه، بأن عليها البدء بالتفكير في نفسها وحياتها قليلاً..

**ردت نرمين في تأكيد لفهمها الرسالة:**

- عادل يا حبيبي.. أنتم نفسي وحياتي، طول ما أنا عايشة على وجه الأرض، وربنا يخليكم ليّا.

**أجابها عادل مبتسمًا:**

- طيب يا أحلى أم في الدنيا..

يوم سعيد وادعي لي؛ لأني حاكون اليوم كله مع عائلة يوسف الله يرحمه، لأني بقالي مدة مش قليلة مارحتش لهم!!

**قالت نرمين متلهفة:**

- وحياتك يا عادل، قول لطنط كريستين إني عايزة أزورها في أي وقت، هي تقدر تستقبل فيه ناس!!

**عادل، وقد أومأ بالموافقة على تلبية طلبها:**

- حاضر يا أمي.. (يقبل يديها).. إدعي لي يا أمي.

في سيارته، متوجهًا إلى العمل، يطلب عادل على هاتفه المحمول اللواء محمد مأمون؛ ليكرر طلب نقله إلى سيناء بكل إصرار؛ رغم ما في ذلك النقل من مخاطر متوقعة...

**عادل، في صوت به إصرار:**

- يا أفندم، أنا عارف إن في قوات شايلة جامد، ولكن أنا عايز أكون هناك لظروف خاصة، وأنا متأكد إني حاكون إضافة للزملاء.

**اللواء محمد:**

- أكيد طبعًا يا سيادة المقدم..أنت من أكفأ وأنجح رجال الشرطة. أنا بأوعدك إني حأتصل بك في أقرب فرصة. وإن شاء الله خير.

**عادل ممنونًا:**

- أشكرك سيادة اللواء.

وبعد ذهاب عادل.. تبدأ نرمين في تناول الإفطار...

يرن جرس هاتفها المحمول، وترى اسم نزار، على شاشة الهاتف، فترتبك وتتردد في الإجابة، ولكنها ترد أخيرًا.

**نرمين، في صوت متردد:**

- ألو.. د. نزار!!

**نزار، هاتفًا:**

- صباح الخير يا نرمين هانم.. وحشتينا، والتلاميذ كلهم بيسألوا عليكِ.

**نرمين متسائلة:**

- حضرتك في المدرسة من بدري كده؟!

**نزار، مؤكدًا:**

- طبعًا ما إنت عارفة إني لازم أكون أول واحد في طابور الصباح.

**نرمين في لهجة باسمة:**

- ربنا معاك، ويعطيك الصحة.

- أنا كنت عايز أكلم عادل؛ علشان أعزيه في صديقه، البطل والشهيد يوسف.

- هو عادل لسه ماشي وفي طريقه للشغل، وبعدها حيزور عائلة يوسف.. ياريت تلحقه وتكلمه.

**نزار، باشتياق:**

- أوك، بس أنا نفسي أشوفِك كمان! وحشتينى أوي!!

**نرمين، في لهجة شبه تقريرية:**

- خلاص أنا مهمتي انتهت.. وندى رجعت من فرنسا، والحمد لله حترجع للتلاميذ والمدرسة.

**نزار، مفسرًا:**

- طبعًا دي حاجة عظيمة، وندى أحسن مدرسة في المدرسة..

لكن أنا عايز أتكلم معاكي في موضوع تاني خالص، مالوش علاقة بالمدرسة!!

**نرمين، في ارتباك:**

- إن شاء الله قريبًا..

وتنهي المكالمة بطريقة جادة ورسمية.

* * * * *

د. نزار يجلس فى مكتبه، وهو غارق في تفكير عميق..

يتصل بالمقدم عادل، ويطلب مقابلته في أقرب وقت ليعزيه

وليشرح له الموقف تجاه والدته التي يكن لها كل الحب والاحترام والتقدير..

**وعلى الهاتف.. جرت بينهما المكالمة التالية:**

**د. نزار:**

- صباح الخير يا بطل.. البقية في حياتك.

**عادل:**

- صباح الخير د. نزار.. أنا متشكر على المكالمة.

- في الحقيقة يا عادل باشا، أنا بتصل بيك علشان نتقابل في أسرع وقت؛ لأني عايز أتكلم معاك في موضوع مهم جدًّا.

**عادل؛ في لهجة متسائلة:**

- طبعًا يا دكتور يسعدني ذلك.. تحب إمتى؟

أنا النهاردة بعد الشغل، حأكون مع عائلة يوسف..

لكن ممكن نتقابل بعد الساعة ٨ مساءً..

**نزار، بصوت يبدو عليه الارتياح:**

- ممتاز.. خلينا نتقابل في النادي، إن شاء الله..

**عادل، متسائلاً:**

- إيه رأي حضرتك.. تشرفنا على العشاء في المنزل؟!

**نزار بلهجة معتذرة:**

- إنتم بيت كرم.. ولكن أنا عايز نكون على انفراد..

ويا سيدي، ما إنتوا عندكم ضيف ثقيل كل يوم، ابني كريم..

ده خلاص نسيني، وبقى عايز يكون عندكم على طول.

**عادل، بلهجة فرحة:**

- كريم ده حبيبي يا دكتور.. أنا باعتبره أخو يوسف، ابن ندى.

- يا رب دايمًا يكونوا مع بعض.

**عادل، وهو ينهي المكالمة:**

-ok يا دكتور.. موعدنا الساعة ٨ مساء تمامًا.

**يفكر عادل ويتساءل مع نفسه:**

- يا ترى، ليه د. نزار عايز يقابلني؟ يمكن يكون عايز يتقدم لندى، يا ريت.. ده راجل ممتاز ومحترم، عمومًا حنشوف!!

يصل عادل إلى منزل عائلة يوسف، ويقضي كل اليوم معهم، حتى الساعة الثامنة؛ ليذهب إلى ميعاد نزار، دون أن يتصل بأمه أو أخته؛ لانشغاله التام مع عائلة يوسف.

**بعدها، يصل عادل إلى النادي في صالة الشاي..**

يجد د. نزار في استقباله بحرارة شديدة، ويقدم تعزية خالصة المشاعر؛ لفقدان عادل لأعز صديق له، يوسف..

يتأثر عادل جدًّا بهذا الاستقبال الحار، ويشكر د.نزار على مشاعره المرهفة والصادقة..

**يبدأ د. نزار الحوار قائلاً:**

- يا عادل أنا في الحقيقة، عايز أتكلم معاك في ثلاثة موضوعات محورية في حياتنا إحنا الاثنين.

**عادل، بلهجة باسمة:**

- يا د. نزار، أنت راجل علم ودكتوراه في الهندسة.. أنا مركز مع حضرتك في الثلاثة محاور، كما ذكرت.

**ينظر نزار إلى عادل، بعد أن ذاب حاجز الحزن، ثم يقول:**

- على بركة الله.. يا سيدي أول محور هو موضوع الشهيد يوسف..

يا عادل في مجال عملك في الشرطة، حياتكم كلها تضحية للوطن والشعب، وده أسمى وأعظم معنى للحب الحقيقي.. ولكن مخاطر هذا الحب بلا نهاية...

**عادل مقاطعًا:**

- فعلاً يا دكتور نزار، إحنا حياتنا على كف عفريت، وكل يوم ممكن نستشهد..

وعارف إنه ممكن مصير عائلتي، يكون زي عائلة يوسف صاحبي.. لكن كل واحد مننا بيختار الطريق اللي بيحبه، وإن شاء الله ربنا يحمينا كلنا من أي ضرر أو أذى..

**د. نزار، وقد علت الابتسامة وجهه:**

- يا بطل أنت حتعيش لحد ما تشوف أولاد ولادك.. لكن دايمًا حتكون في الخدمة، وده يخلينا نناقش الموضوع التاني.

**عادل، بتركيز شديد:**

- معاك يا دكتور.

**نزار، وقد أحس بالراحة:**

- موضوع ندى وشريف.. حدثت فيه تطورات لازم تعرفها!!

**عادل، وفي عينيه فرح، وفي داخله تساؤل:**

- خير يا دكتور!!

**استكمل نزار حديثه قائلاً:**

- أنا بقالي ستة أشهر، متابع شريف، وحالته الصحية والاجتماعية والنفسية و...

**عادل مقاطعًا للدكتور نزار:**

- يا دكتور، ده شخص سيئ ومجنون.. إحنا شفنا منه كتير أوي!!

**نزار، في صوت هادئ:**

- بالعكس يا عادل.. شريف بيحب ندى، وبيحب ابنه يوسف جدًّا، واتعالج تمامًا من الإدمان، وأصبح رجل تاني خالص..

هو نِفسه ييجي يقابلك، ويعتذر لك عن كل اللي حصل منه في المدرسة..

وفي الحقيقة، هو كمان محتاج منك، بشكل ماس للغاية، إنك تساعده في العودة إلى ندى، كزوجة وأم لابنه.

**عادل، مندهشًا:**

- مش ممكن يا دكتور.. ده ولد فاشل ودلوعة أمه..

ندى حاولت معاه كثير، وفشلت من زمان.

**يأتي الجرسون ويقدم لهما المشروبات، التي طلبها كل منهما...**

**يقول نزار موضحًا:**

- شريف كان ضحية دلع أمه وفلوس أبوه، وعمره ما شاف قدوة حسنة، تشجعه على العمل الجاد واحترام الغير، وتحمل المسؤولية..

بس خلينا نديله فرصة أخيرة مع ندى. يمكن هي مش قادرة، ولكن يمكن تحاول علشان خاطر يوسف..

شريف بجد أتغير يا عادل، وأمنية حياته أنه يرجع لـ "ندى"، ويعيش مع ابنه يوسف.

**يتوقف نزار برهة لقياس رد فعل حديثه على عادل، ثم يواصل كلامه قائلاً:**

- عادل من فضلك، حاول مع ندى؛ علشان تعيش حياة زوجية مع الراجل، اللي أحبته في أجمل أيام عمرها.. وكمان علشان يوسف يتربى في حضن أبوه وأمه..

أنت يا عادل طبعًا خاله، والخال والد.. لكن أنت مشغول جدًّا في خدمتك للوطن، ومش دايمًا موجود ليوسف كأب له.

بدأ عادل في قرارة نفسه، يستوعب كلام نزار، ويتراجع عن الهجوم على شريف.. إذ شعر بأن هناك فعلاً تغييرًا كما يقول د. نزار؛ مما دفعه إلى أن يقول:

- أنا ما عنديش مانع أجلس مع شريف، وأشوف بنفسي أتغير إزاي، وبعدها نشوف موقف ندى!!

**يرد نزار، مرحبًا بذلك:**

- بصراحة يا عادل، أشكرك على ثقتك، وعلى الفرصة الكبيرة دي لشريف..

ودلوقتي نيجي لأخر وأهم موضوع يتعلق بحياتي أنا.

**عادل مندهشًا:**

- خير يا دكتور؟!

يشرب نزار كوب الماء أولاً، ليخفف من إحساسه بالتوتر؛ إذ إنه أصبح في غاية الترقب، ويقول:

- عادل أنا بعد ما تشرفت بمعرفة ندى والأسرة كلها وشفت بنفسي أد إيه إنتم على أعلى خلق وتربية، وحب للغير وللوطن، ومبادئ واحترام وتقديس لعملكم!

ندى في المدرسة مع التلاميذ وزملائها، وأنت في إخلاصك ورجولتك وشهامتك في عملك، وأخيرًا إنسانيتك اللي شوفتها مع كريم ابني..

أنا أتشرف أن أطلب يد والدتكم العظيمة نرمين هانم.. هذه السيدة التي تستحق كل الحب والاحترام والتقدير..

وأتمنى من كل قلبي إن ربنا يقدرني، وأكون لها الزوج الصالح، الذي يساندها في كل شيء طول العمر!!

* * * * *

يدور في نفس عادل خليط من المشاعر تجاه هذا الطلب..

أولاً، لأن والدته سيدة عظيمة، ومن حقها أن تعيش لنفسها؛ فقد ضحت بشبابها وعمرها لإسعاد أبنائها..

وثانيًا لأن حياة عادل دائمًا في خطر، وعرضة للاستشهاد في أي وقت؛ فوجود رجل عظيم ومحترم، مثل د. نزار، مع والدته وأخته وابنها يوسف، سيكون ضمانًا وحماية لهم، في حالة أن حدث له أي مكروه، خلال عملياته أو مأمورياته الشُرطية.

ينظر عادل إلى نزار في دهشة كاملة؛ لأنه يعرف أن أمه أكبر من نزار سنًّا، ولكنه يشعر بداخله بسعادة غامرة؛ لأنه يُكِن لدكتور نزار كل الاحترام والتقدير..

لقد كان عادل يتمنى لوالدته أن تجد الإنسان المناسب الذي يحميها، ويكون سندًا لها، بالذات مع ظروف عمله وحياته، التي دائمًا ما تكون في خطر وصراع دائم مع الموت.

**يرد عادل على د. نزار قائلاً:**

- يا دكتور، إحنا كلنا بنحبك ونحترمك في العيلة، وطلبك ده شرف لينا.

وأنا موافق دون تردد.. لكن حضرتك سألت ماما؟

**نزار، مقترحًا بذكاء:**

- هو ده طلبي يا بطل.. إنك تسألها، وتحاول تقنعها كمان!!

**عادل، عارضًا رؤية أخرى:**

- إزاي يا دكتور.. دا لازم حضرتك تحاول بنفسك!

**نزار، في رجاء واضح:**

- بس لو ممكن تبدأ أنت بالمقدمة.. ويا ريت تعزز الموضوع بأنك موافق.. وأنا بعد كده أكمل الطريق، وأحاول إقناعها.

**يفتخر عادل بأنه في موقف كبير العيلة، وأبو العروسة أمام نزار..**

فينظر إليه، وهو في موقف العريس المحب الولهان، ويرد قائلاً:

- على بركة الله يا دكتور نزار.. ممكن تعتمد عليّا في الموضوع ده، وأوعدك إني حأكلمك في أقرب فرصة.

**نزار، يلتقط أنفاسه، وبابتسامة عريضة:**

- أشكرك جدًّا ياعادل.. أنا حكون ممنون ومديون لك العمر كله.

**عادل، مطمئنًا:**

- ربنا يعمل اللي فيه الخير يا دكتور إن شاء الله..

**نزار، فى رجاء أخير:**

- بس لي طلب أخير، أن يكون هذا الموضوع الذي يخصني، بعد موضوع ندى وشريف، مش قبله!!

- حضرتك شخص نبيل وحساس جدًّا يا دكتور، وأنا متفق معاك ١٠٠٪ في هذه النقطة.

**نزار، بصوت مفعم بالاطمئنان:**

- الحمد لله إننا متفقين.. إن شاء الله دائمًا كده..

**عادل، مطمئنًا:**

- الحمد لله.. أسيبك وأرجع البيت؛ لأن زمان ماما وندى ويوسف، وطبعًا كريم حبيبي منتظرين عودة المقدم عادل، على أحر من الجمر..

**نزار، مبتسمًا:**

- أنا مش عارف أرد جمايلكم دي كلها إزاي؟ كريم على طوّل معاكم، وأنا مش عارف أبعده عنكم.

**عادل، مؤكدًا:**

- أنا قلت لحضرتك من شوية كريم ويوسف أخوات، زي الفل، لا تقلق يا عزيزي.

ينصرف عادل... يجلس نزار في هدوء..

وكله رجاءٌ وأمل في مستقبل أكثر إشراقا وسعادة مع حب حياته.. نرمين.

*****

# الفصل السابع
# ندى والذكريات

في صباح اليوم التالي في المدرسة..

كانت ندى قد وصلت إلى المدرسة، بعد عودتها من باريس..

أحاطها الجميع بمظاهرة ترحيب وحفاوة..

وبعد أن سلمت عليهم جميعًا، توجهت إلى مكتب د. نزار..

**حالما رآها د. نزار، نهض مهللاً ومرحبًا بها.**

- أهلاً ندى، حمد لله على السلامة...

وحشتينا كلنا، المدرسة والمدرسين والتلاميذ.

**ندى، وقد أصابتها الحفاوة ببعض الخجل:**

- إنتم كمان وحشتوني جدًّا يا د. نزار..

الحمد لله المهمة في باريس كانت ناجحة..

أنا عندي أفكار كثيرة، نفسي أناقشها مع حضرتك، وأشكرك على ثقتك بي.

**نزار، بوجه مبتسم للغاية:**

- طبعًا بكل سرور.. وأنا كمان عايز أشكرك جدًّا على موافقة الوالدة العظيمة، نرمين هانم، على القيام بأعمالك في المدرسة.. كتر خيرها، والتلاميذ استفادوا منها جدًّا، وحتلاقيهم مستعدين لكل نشاطاتك الجديدة..

إنتي الابنة الغالية علينا كلنا.

**ندى، وعلى وجهها تعجب وحذر:**

- ماما كمان كانت سعيدة جدًّا.. هي الخير والبركة.

**د. نزار، برغبة في إنهاء الحوار عند هذا الحد:**

- خلينا يا ندى نناقش كل شيء آخر النهار..

**ندى، موافقة على ذلك:**

- أوك يا دكتور.. نهارك سعيد.. بعد إذن حضرتك.

يلتقط د. نزار أنفاسه بعد مغادرة "ندى" لمكتبه..

يشرد في التفكير والتساؤل عما إذا ما كان عادل قد فاتح أخته "ندى" في موضوع شريف أم لا؟ ثم يحاول الاتصال بشريف؛ لينقل له ماحدث في حواره مع عادل..

**بعد عدة محاولات، أجاب شريف، في صوت معبر عن الفرحة:**

- صباح الخير د. نزار.. عندك أخبار حلوة يا ترى؟

**د.نزار، مطمئنًا:**

- كل خير يا ابني، إن شاء الله كل خير..

أنا تكلمت مع عادل بالأمس، وهو موافق مبدئيًّا للحديث مع ندى؛ بشرط إنه يقابلك أولاً؛ ليتأكد مما أخبرته به عن ندمك وتماثلك للشفاء، وتغيرك للأفضل.

**شريف، مؤمنًا على ما قاله د.نزار:**

- طبعًا أي وقت، أنا تحت أمر عادل.. أنا غلطت فيه كثيرًا، ولازم أعتذر له..

وكمان علشان أقدم له عزائي في صديقه يوسف، ده ابني يوسف اتسمى على اسمه.. أنا مستعد لمقابلته في أي مكان يناسبه.. وألف شكر لوقوفك جنبي يا دكتور نزار.

**نزار، بصوت ينم عن الارتياح:**

- ممتاز.. أنا حأتصل به، ونحدد الميعاد بأقصى سرعة؛ لأن ندى رجعت من السفر مبسوطة ومتفائلة بنجاحها في البعثة..

وعلى ما أظن كده عندها استعداد إيجابي، إننا نفتح الموضوع معاها.

بعد المكالمة..

يعاود نزار التفكير، ويدعو الله أن ينجح شريف في إقناع عادل في مسألة الرجوع إلى ندى، وابنه يوسف..

**يتصل نزار بنرمين هانم، ثم يقول لها:**

- صباح الخير يا نرمين، وحشتيني أوي، ونفسي أشوفك، ممكن نتقابل النهاردة؟

**نرمين، بشيء من التوجس:**

- مش متأكدة يا د. نزار!!

**نزار، مصرًّا على طلبه:**

- نرمين.. أرجوكِ خلينا نتناقش.. أنا قابلت عادل، وطلبتك للزواج، وهو موافق!!

**نرمين، بدهشة:**

- يا خبر، إزاي يا نزار تستعجل كده؟

عادل لسه ما فاقش من صدمة وفاة صديقه يوسف وتعبان..

كمان أنا لسه لازم أطمئن الأول على ندى، قبل أي شيء.

**نزار، في صوت يبعث على الثقة:**

- يا حبيبتي.. اطمئني، أنا لازم أشوفك؛ علشان أحكي لك عملت إيه مع شريف طليق ندى، وإن شاء الله الأمور بينهم، حترجع أحسن من الأول.

**نرمين، داعية:**

- يا رب.. خير إن شاء الله!!

**نزار، مقترحًا:**

- ممكن أعزمك على الغدا في المطعم بتاعنا؟

**نرمين في تردد:**

- موافقة.. بس من غير تأخير!!

**نزار، في صوت تملؤه الفرحة:**

- شكرًا لقبول الدعوة يا فندم، يبقى ميعادنا الساعة الواحدة ظهرًا.

نرمين في المنزل، تجهز للغذاء مع الطباخ؛ لأنها سوف تتأخر حتى الساعة الرابعة عصرًا..

كان عليها أن تستعد نفسيًّا وروحيًّا..

كما كان عليها أن تجمّل نفسها وتتزين؛ للقاء من أحبته، بعد كل هذه السنوات الطويلة من الوحدة.

تذهب نرمين للقاء د. نزار، وهي في كامل الأناقة والتألق..

لكنها أيضًا، كانت تعاني من خوف شديد، وكأنها فتاة في العشرين من عمرها، ذهبت للقاء حبيبها؛ خفية عن عيون أهلها..

يراها نزار، ويلتمع في عينيه بريق الحب والشوق والحنان، ويقف لاستقبالها، بكل حرارة وشوق.

**في المطعم، عندما جلست نرمين إلى مائدة نزار، بادرها قائلاً:**

- وحشتيني يا نرمين.. أنا لا يمكن أستغنى عنك يوم تاني، إنتي كل حياتي، وباتمنى إن زواجنا يتم في أقرب وقت ممكن إن شاء الله..

**كانت نرمين تدرك أن في عينيها كلامًا وأشواقًا مماثلة، ولكنها نسيت أمرها، وفجأة سألت نزار:**

- احكي لي عن شريف وندى، وعملت إيه مع عادل بخصوص الموضوع ده؟

نزار يحكي عن التغيير الذي حدث مع شريف، وأيضًا عن كل ما دار بينه وبين عادل؛ لمحاولة مصالحة ندى وشريف.

**نرمين، بلهجة تعبر عن امتنانها:**

- أشكرك يا نزار على كل اللي عملته مع شريف..

أنا بحب الشاب ده جدًّا، وكان ممتاز..

لكن الله يجازي أصدقاء السوء اللي جرجروه لسكة المخدرات.

**نزار، يشير برأسه مصدقًا على رأيها:**

- يا نرمين، يا حياتي.. إن كنت عملت كده علشانك وعلشان ندى، لكن الأهم بكتير علشان يوسف يكون عنده أب قدوة، يحبه ويحميه ويكون له سند قوي في المستقبل.

**نرمين، وقد غطت الفرحة صوتها:**

- يوسف حبيبي ولد أمور وطيب.. ربنا يحافظ عليهم كلهم.. وأنا كمان بحب كريم أوي- ولد زي السكر.. طمني على التلاميذ، أكيد بقوا فرحانين برجوع ندى!!

**نزار، مطمئنًا:**

- الكل سعيد وفرحان، مش ناقص بس، غير أن إحنا الاثنين، نكون سعداء وفرحانين زيهم.. لازم نتجوز يا نرمين في أسرع وقت..

أنا فعلاً مش عارف أعيش من غيرك..

أنا محتاجك جانبي؛ علشان كمان أكون مطمئن عليكي.. أنا بحبك أوي يا نرمين!!

تشعر نرمين بأنها في غاية السعادة، عند سماعها هذا الكلام، وإدراك هذا الحب في عيني نزار..

**تقول نرمين وهي في قمة رومانسيتها:**

- أنا كمان بحبك يا نزار، وأتمنى إني أعيش معاك طول العمر..

في الحقيقة، أنا عمري ما كنت أتخيل إني ممكن أحب تاني..

**وتنظر نرمين إلى نزار نظرة العشاق، التي تنضح بالغرام، فتقول مستدركة:**

- نزار... إنتَ خليت حياتي لها طعم وشكل تاني خالص..

ينظر نزار إلى نرمين في غاية النشوة، ويمسك يديها، ويقبلها بحنان..

**تقول نرمين برقة متناهية وجدية:**

- خلينا الأول نطمئن على ندى وشريف ويوسف، وبعدها نناقش موضوع زواجنا وتفاصيله.

تنتهي المقابلة بجوها الرومانسي الناعم، وفي حالة غير مسبوقة من الهدوء النفسي والعاطفي التام.. وتعود نرمين إلى المنزل، ويعود نزار إلى عمله بالمدرسة.

* * * * *

وفي المساء، يعود عادل مبكرًا من عمله.. ويجلس فى حجرة الصالون، شارد التفكير، يبدو عليه التعب والإجهاد والضيق..

**تدخل عليه أمه، وتفاجئ بحضوره مبكرًا، قائلة:**

- عادل حبيبي، أنت راجع ليه بدري كده من الشغل؟

- لسه يا ماما تعبان نفسيًّا من فراق يوسف..

مش حاستريح، إلا لما أخد بثأره من الخونة دول، اللي ملهومش دين ولا بلد!

**نرمين، في غاية القلق:**

- يوسف أدى واجبه ونال الشهادة..

وأنت بتعمل اللي عليك وأكتر، وربنا معاك يا ابني، أنت وكل اللي زيك..

**عادل، في صوت مملوء بالإصرار:**

- ماما، أنا نفسي كمان أطمئن عليكي إنتي وندى ويوسف..

د. نزار كلمني، وطلب إيدك مني، وأنا موافق؛ لأنه راجل محترم وشجاع.. وكل أب أو ابن أو أخت، يتمنى يضمه لعائلته..

أنا عايز أبقى مرتاح نفسيًا عليكم يا أمي!!

**نرمين، في خجل شديد:**

- أنت شايف كده؟

**عادل، باسمًا:**

- يا ماما، أنا موافق ١٠٠٪، نفسي تكوني سعيدة..

إنتي طول عمرك بتضحي بكل حاجة علشانا..

ندى الحمد لله مستقلة وناجحة، وإن شاء الله حترجع لشريف، ويكون معاها زوجها وابنها يوسف. ويمكن يكون عندها أولاد تاني..

وأنا زي ما إنت شايفة كل حياتي في الخدمة، على كف عفريت..

شوفي اللي حصل ليوسف؟

**ترد نرمين بلهفة شديدة:**

- عادل.. ربنا يخليك لينا، ولمصر كلها كمان يا حبيبي.

**عادل، مهدئًا لأمه:**

- يا ماما، من فضلك، اقبلي الزواج من د. نزار..

فارق السن بسيط، وهو فعلاً بيحبك بكل إخلاص، وعايز يسعدك ويحميكي.

**نرمين، في صوت واثق:**

- حاضر يا عادل.. أوعدك إني أفكر.

* * * * *

يذهب عادل إلى مقر وزارة الداخلية؛ لمقابلة اللواء محمد مأمون في مكتبه؛ ليحادثه مرة أخرى في موضوع نقله إلى سيناء؛ وفي أعماق نفسه يتمنى أن يتمكن من أخذ ثأر "يوسف" صديقه..

عندما وصل عادل إلى مكتب اللواء.. رحب به اللواء، وقال له:

- عادل.. أنا حاولت بقدر المستطاع أن أنقلك إلى شرم الشيخ، لكن في احتياج مُلح لتأمين منافذ الغردقة، وأنا متأكد إنك سوف تتفهّم الموقف.

**عادل، وقد بدا في صوته شيء من الرضا:**

- أشكرك سيادة اللواء.. تحت أمرك يا افندم.

**اللواء محمد متهللاً:**

- أنا كمان عايز أفرحك إن زملاءك قبضوا على عدد كبير من العناصر الإرهابية والمجرمين في شرم الشيخ..

لكن للأسف بعضهم تمكن من الهرب، وجارى تمشيط وتتبع الهاربين بكل حزم.

**عادل، مؤكدًا:**

- المهم يا افندم إننا ننقذ بلدنا من المجرمين الخونة دول.

**اللواء محمد، مسلمًا عليه بقوة:**

- ربنا يوفقك يا بطل... إلى اللقاء.

*****

ينطلق عادل إلى مهامه في عمله الجديد، وهو تأمين منافذ الغردقة؛ خاصة وأن أعداد السياح تتزايد في هذه المنطقة.. ويؤدي تدريبات ومناورات شاقة؛ لضمان سلامة وحماية المواطنين والسياح، ولا يعود إلى المنزل إلا لمدة يوم واحد فقط كل أسبوعين.

تدور مناقشة في منزل نرمين مع ابنتها ندى، في عدم وجود أخيها عادل، حول سفر ندى وعودتها إلى المدرسة..

**قالت ندى:**

- صباح الخير يا أمي.. أخيرًا، إيه الفطار الجميل والشيك أوي بتاع زمان ده؟

لما كنت لوحدي في باريس، كان لازم أروح بنفسي أشتري العيش في عز البرد. ولكن هنا الدفء والدلع والحلاوة بتاعة أمي حبيبتي.. الله عليك يا ماما..

**نرمين، بصوت فرح للغاية:**

- صباح الخير يا روح ماما.. كان البيت من غيرك لا يطاق يا ندى..

بس ربنا يخلي يوسف حبيبي.. وطبعًا عادل اللي دايمًا في الخدمة..

يوسف هو اللي كان مالي عليّا البيت والمدرسة كمان، وما تنسيش برضه شغلي في المدرسة.

**ندى، في نظرة امتنان:**

- مامي.. أنا بجد عايزة أشكرك جدًّا على إنك أخدتي مكاني في المدرسة..

التلاميذ مستواهم اتحسن، ومتجاوبين جدًّا معايا في الأساليب الحديثة، اللي أتعلمتها في باريس..

وعلى فكرة د.نزار باعتلك السلام والشكر والتحية والتقدير.. إلخ.

تستمع نرمين إلى ندى بانتباه وقلق شديدين، بينما تستمر ندى في الحكي عن د.نزار، دون أن تلحظ شيئًا من ملامح الانتباه والقلق على وجه والدتها نرمين!!

**تقول ندى بحماس:**

- الراجل ده يا أمي عظيم ومحترم جدًّا..

يا بخت الست اللي حتتجوزه، أنا مش عارفة إزاي مراته تركته..

دي ست عبيطة أوي.. دي أي واحدة تتمنى راجل زيه أو حتى شبه من بعيد. لأن في الحقيقة، الراجل ده مالوش زي!!!

**تنتهز نرمين الفرصة، التي تمثلها هذه العبارة، وتسال ندى قائلة:**

- على فكرة.. شريف كلمني، وطلب مني إنه يقابلك..

كان معايا على التليفون.. مهذب ومحترم جدًّا، وأنا حاسّة إنه أتغير..

هل ممكن يا ندى إنك تديله فرصة ثانية، ولو علشان خاطر يوسف؟

**ندى، وهي غاضبة بشدة:**

- لا ثانية ولا تالتة.. الموضوع ده انتهي خلاص، ومش عايزه أشوفه مرة تانية من فضلك يا أمي.. إنت نسيتي عمل فينا إيه؟

**نرمين، راجية ابنتها:**

- قابليه مرة واحدة بس، وبعدين قرري.. أنا شايفة إن فيه تغيير كبير، حصل في حياته.

**ندى تجيب أمها بجدية وعصبية:**

- حنشوف يا ماما.. بعدين.. بعدين!!

**تحاول نرمين تغيير الموضوع:**

- ندى يا حبيبتي.. بأفكر أروح يومين أو تلاتة على البحر في شاليه المعمورة...

محتاجة أجازة بعد المجهود الرهيب، اللي عملته في المدرسة، وإنتي مسافرة.. إيه رأيك يا حبيبتي!!

**ندى، بعد هدوء من ذكر موقف شريف، تجيب قائلة:**

- طبعًا يا أمي- إنتي لازم تغيري جو، وتستريحي شوية بعيد عن الجنان اللي إحنا فيه كل يوم!!

**نرمين، مبررة عرضها لابنتها:**

- هي فرصة إنك في مصر، ومعاك عادل ويوسف، وطبعًا حتاخدي بالك منهم!!

**ندى، مطمئنة إياها:**

- لا تقلقي يا عزيزتي.. بنتك جدعة، وبـ «١٠٠» راجل.

تقبل ندى والدتها، ثم تغادر المنزل للذهاب إلى المدرسة. وفي السيارة، تستمع إلى الراديو؛ لتفاجئ بأغنية أم كلثوم الشهيرة "فكروني". وتتذكر بعض المواقف العاطفية مع شريف.

**أما نرمين، فقد ذهبت إلى غرفتها لتحضير حقيبتها..**

وبعدها غادرت المنزل، وهي تقود السيارة بنفسها لتنطلق على طريق مصر- الإسكندرية الصحراوي، وهي تستمع لأغاني فيروز، التي تعشقها؛ طوال فترة السفر...

لقد كانت فيروز ملهمة لنرمين في كثير من أحلامها، وأمانيها، ومشاعرها الرقيقة.

تصل نرمين إلى الإسكندرية، وبالتحديد إلى منطقة المعمورة، حيث تمتلك الشاليه، الذي ورثته عن والدتها.. فكانت – في صغرها وشبابها- تذهب مع والدها ووالدتها كل شهور أجازة الصيف، ترافقهم خالتها وأولادها، ولها هناك أجمل ذكريات الطفولة والمراهقة.. كما كانت تذهب كثيرًا في أيام الخطوبة، وبعد الزواج من والد عادل وندى.

تصل نرمين إلى بوابة المعمورة، ويستقبلها أفراد الأمن الخاص بالمنطقة بحفاوة شديدة، وعلى رأسهم عم جميل، وهو في منتصف العقد السابع من عمره، ويتذكران معًا أيام الزمن الجميل من تواضع وكرم والدتها معهم..

**بادرها عم جميل بقوله مرحبًا:**

- أهلاً.. أهلاً يا ست نرمين، وحشتينا أوي، ووحشتنا اللمة الجميلة بتاعة زمان!!

**تجيبه نرمين باسمة:**

- إزيك يا عم جميل.. إنتوا كمان وحشتوني أوي..

إزاي الحاجّة أم محمود، وحماده ومحمود؟

**عم جميل في إيجاز:**

- الحمد لله، يارب تقعدي معانا كام يوم حلوين يا ست هانم..

أنا حطلع الشنط حالاً.. وحشانا يا ست الكل!!

ينطلق عم جميل إلى الدور الأول حيث الشاليه؛ ليضع الحقائب، ويفتح الشبابيك المطلة كلها على شاطئ البحر..

تتقدم نرمين للدخول، وترى شريطًا من الذكريات يتتابع أمام عينيها، في كل مكان في الشاليه...

تتذكر والدتها؛ فقد كانت امرأة غاية في الجمال والعطاء، وكان والد نرمين يكن لوالدتها كل الحب والاحترام والإعجاب.. وكان

يشاكسها دائمًا ويداعبها أمام الأطفال.. وهم حولها بكل سعادة وفرح..

تتذكر نرمين مناقشتها مع والدتها، عندما سألتها عن الحياة الزوجية، قبل أن ترتبط بعريسها؛ إذ قالت لها يومها:

- مامي.. أنا بحبه أوي، وعارفة إنه بيحبني. كمان..

بس مش متأكدة إننا حنفضل نحب بعض بقية حياتنا، زيك إنتي وبابا كده، ولاّ لأ!!

**قالت والدة نرمين، بكل حب، وهي واقفة أمام الشباك في شاليه المعمورة:**

- يا بنتي إنتي والمهندس رفعت بتحبوا بعض، وعايزين تكوّنوا أسرة، وتكبروا وتبنوا سوا حياة كلها حب وسعادة...

لكن شوفي البحر أمامك؛ هي دي الحياة.. هناك أوقات يكون البحر فيها جميل وهادي من غير أمواج.. ما لوش حس ولا حركة، ولكن ساعتها بيكون ممل...

وفيه أوقات يكون البحر فيها هايج وأمواجه عالية.. لكن بتحسى فيه بحركة ومتعة..

الحياة زي البحر.. من غير مشكلات وتحديات وأحزان وأفراح، مالهاش طعم ولا لون..

الحياة لازم تكون فيها كل حاجة.. الحلوة والمرة..

على العموم، إنتي كل اللي عليكِ إنك تعملي اللي إنتي حاسة بيه من راحة وقبول، وطبعًا مشاعر، وعاطفة جميلة وجريئة للمهندس رفعت.

**نرمين، ضاحكة:**

- يا ماما.. كل مرة تناديه بالمهندس رفعت، نفسي تقولي مرة رفعت بس!

**ردت عليها والدتها بحزم، ولكن بحب، قائلة:**

- الأصول أصول- طول ما هو لسه على البر- وما فيش أي حاجة رسمي، لازم أناديه بالمهندس رفعت.. افرضي إنه ما حصلش نصيب؟

على العموم يا ستي لما ترتبطوا، أو حتى تتخطبوا..

أناديه مش بس رفعت، ولكن بـ"رافي" أو حتى "رفعتو"..

ثم تضحك والدة نرمين، محتضنة نرمين بمنتهى الحب والحنان، وقد تعالت ضحكاتهما معًا..

تعود نرمين من شرودها، إلى أرض الواقع..

ترتسم ابتسامة عريضة على وجهها، بعد استرجاع كل هذه الذكريات الجميلة مع والدتها.. ثم تبدأ في استيعاب لحظتها الحالية، وهي في المكان نفسه، بعد أكثر من ٣٠ سنة، عاشتها مثل أمواج البحر،كما وصفت والدتها بين سكون وهياج!!

**تقول نرمين لنفسها:**

- وحشتيني يا أمي.. وحشتيني أوي..

كان نفسي تكوني معايا دلوقتي.. محتاجة لك أوي، يا أمي..

وتتسرب إلى وجنتيها دموع مليئة بالشجن والحنين إلى قلب الأم وحنانها.

**يعود عم جميل، بعد أن قام بتشغيل الكهرباء والمياه، وفتح كل الشبابيك للتهوية.. ويقول:**

- كله تمام يا ست نرمين.. تؤمريني بأي حاجة تانية؟!

**نرمين مبتسمة:**

- شكراً يا عم جميل.. حشوفك بكره الصبح، إن شاء الله.

**ثم ترفع صوتها قليلاً، منبهة له:**

- بدري يا عم جميل!

**يجيبها عم جميل باسمًا:**

- تمام يا فندم.. يا غالية يا بنت الغاليين.

تقف نرمين أمام الشباك المفتوح في الشاليه المليء بالذكريات، تتأمل كل محتوياته القديمة والقيمة في جوهرها..

تستنشق أنفاسها من هواء بحر الإسكندرية بارتياحٍ وعمق، وكأنها تعوّض لنفسها ما فاتها من عمر، وما ينتظرها من مستقبل.

في لحظة هدوء، يشق سكون الصمت بكاء شديد من أطفال، يحاولون الهرب من شخص يضربهم، يبدو أنه والدهم..

تنظر نرمين من الشرفة؛ لتجد شخصًا قويًّا، يقوم بضرب أطفال بكل قسوة، ويسبهم بألفاظ بذيئة وجارحة.

**تصرخ نرمين من الشرفة، وهي منزعجة، وفي غاية الغضب؛ طالبة من هذا الرجل الذي يضرب الأطفال أن يتوقف عن ذلك، قائلة:**

- كفاية، كفاية حرام عليك- إنت مين؟ الأولاد هيموتوا في إيدك!!

**يستمر الرجل، دون التفات لها أو اهتمام بها، في ضرب الأولاد بقسوة أشد؛ فتنادي نرمين – حانقة - على عم جميل لإنقاذ الموقف، وهي في غاية النفور والاستياء:**

- عم جميل.. يا عم جميل، مين المجرم ده؟ وليه بيضرب العيال كده!!

**عم جميل، مضطربًا:**

- أنا طالعلك يا ست نرمين حالاً..

**نرمين تفتح الباب لعم جميل، وهي في حالة ذعر وغضب شديد، وفي قمة الانفعال:**

- مين الراجل المجرم ده يا عم جميل؟ دا الأولاد هيموتوا في إيده!!

**عم جميل؛ في لهجة بمنتهى الأسى:**

- ده حماده يا ست نرمين.. فاكرة حماده ابني، كان إزاي زمان؟!

دا حماده ابني مع أولاده!!

**نرمين، غير مستوعبة لما يحدث، وباستنكار شديد:**

- إيه اللي حصل؟ هو ده حماده؟ هو ماله بقى كده؟ إيه اللي حصل له يا عم جميل؟

**عم جميل يجيبها بانكسار شديد، ووجهه في الأرض من شدة الخجل:**

- المخدرات يا ست نرمين.. المخدرات ضيعت ابني..

منهم لله اللي كانوا السبب.. ضحكوا عليه وضيعوه، هو وأولاده، وخلّونا كلنا بؤساء.

**نرمين، وهي في حالة ذهول:**

- يا ربي- دا معقول؟ ده حماده بتاع زمان؟! استحالة!!

**تنظر نيرمين إلى عم جميل بحدة، آمرة إياه:**

- خليه يسيب الأولاد حالاً أو أكلم البوليس.. كفاية كده!!

**عم جميل، بلهجة تنم عن أسى شديد:**

- الأولاد اتعودوا على كده يا ست هانم..

هو هايروق دلوقتي، أول ما ياخذ الجرعة!!

نظرت نرمين إلى عم جميل بشفقة.. وراحت تتذكر في هذه اللحظة المأساة، التي عاشتها مع ابنتها ندى وزوجها شريف، عندما كان يقع تحت تأثير المخدرات، والعذاب الذي عانت منه ندى وابنها يوسف من إدمان شريف، فقالت:

- ربنا معاك يا عم جميل.. ما كنتش أعرف إنك في العذاب والغُلب ده!!

**عم جميل، وهو يغالب دموعه:**

- يا ست نرمين.. البيوت أسرار، وربنا يستر على الناس كلها..

**ولا تلبث أن تمر فترة صمت قصيرة نسبيًّا، يقول عم جميل بعدها:**

- الحمد لله.. الحالة هِدْيت.. أنا آسف يا ست نرمين.. والله حاولنا المستحيل علشان العلاج.. وكل مرة يرجع تاني للقرف ده.

**ثم يرفع يديه إلى السماء داعيًا بحرقة شديدة:**

- يا رب استر، وخلص ابني من الكارثة دي..هو عايز معجزة، لأن العلاج مش نافع معاه.

**ثم ينظر إلى نرمين ويقول:**

- دا حماده كان سواق درجة أولى، وكان كسيب أوي.. منهم لله المجرمين تجار المخدرات.

**نرمين، وقد أسقط فى يدها:**

- ربنا يهديه يا عم جميل، ويكون معاك في المحنة دي!!

**عم جميل، في لهجة تشبه الاعتذار:**

- تصبحي على خير يا ست هانم.. وبكره إن شاء الله الحاجة أم محمود حتيجي لحضرتك بدري، وتنفض البيت.. وتخليه زي الفل.

**نرمين، وفي عينها نظرة شفقة:**

- تصبح على خير يا عمنا كلنا.. أشوفك بكره إن شاء الله..

تغلق نرمين باب الشاليه، وتمدد جسدها الرقيق على السرير، وقد بدا عليها تعب اليوم.. ثم تهيئ نفسها إلى النوم، وتقول لنفسها: نامي يا نرمين.. وبكره تفكري في اللي إنتي جيتي علشانه.

في الصباح باكرًا، تستيقظ نرمين كالعادة لتصلي- وتقف أمام البحر وهي تطل من النافذة - كي تتنفس الهواء النقي، وتصلي بخشوع وسجود.. بعد الصلاة تدعي ربنا وتقول: يا رب أرشدني إلى الطريق السليم، وبارك الأولاد يارب، إحميهم ونجيهم من كل شر.

تنتهي نرمين من صلاتها وتذهب لإعداد فنجان قهوة، ثم تجلس في شرفة الشاليه لتتأمل البحر، وترقب لحظات ميلاد اليوم؛ حين تشرق الدنيا بالضياء بعد الظلمة.. وكأنها في حالة عطش لمياه البحر وأمواجه..

فجأة تقرر الاتصال بالدكتور نزار..

كانت الساعة قد وصلت إلى السادسة صباحًا.

**نرمين، بصوت يغلب عليه التساؤل:**

- ألو- نزار.. أنا صحيتك من النوم؟!

**نزار، في قلق:**

- أهلاً نرمين.. إنتي كويسة؟!

**نرمين، مطمئنة له:**

- الحمد لله أنا في الإسكندرية.. في المعمورة!!

**نزار، وهو لم يتخلص بعد من قلقه:**

- طيب.. كله تمام عندك؟!

**نرمين، وقد اندهشت لقلقه:**

- صدقيني.. ما فيش حاجة.. أنت وحشتني يا نزار، وحبيت بس أسمع صوتك!!

**نزار، في حالة سعادة غامرة:**

- معقول.. دي حاجة عظيمة جدًا.. وحشتك؟ أشكرك يارب.. صباحك فل وياسمين.

**نرمين، وهي تطرح عرضًا:**

- تحب تيجي تاكل أكلة سمك إسكندراني!! أنا عازماك على الغدا النهارده؟!

**نزار، مؤمنًا على عرضها:**

- طبعًا.. كويس إننا لسه بدري، حروح المدرسة لمدة ساعة، وآخذ الطريق على طول..

ولما أوصل المعمورة، حتصل بيكي علشان تقولي لي العنوان فين بالضبط.

**نرمين، بشيء من التردد:**

- متأكد إنك حتقدر تيجي.. مش تعب عليك؟ (وكأنها تتراجع عن الدعوة).

**نزار، مؤكدًا حضوره:**

- هو أنا مجنون، أفوت دعوة زي دي؟ دي فرصة لا يمكن أسيبها..

عزومة غداء على البحر مع حب عمري؟ هو أنا عبيط؟!

**نرمين، وقد أسقط في يدها:**

- طيب.. أنا في انتظارك!!

*****

جلس نزار في منزله، بعد مكالمة نرمين؛ يفكر كيف يسعدها، وماذا يحضر لها كهدية عند لقائهما في الإسكندرية..

في الوقت نفسه، راح نزار يسترجع ذكريات هذه المدينة، عندما كان يتقدم لخطبة "عهد"، التي كانت تسكن الإسكندرية؛ حيث كان يقود سيارته لأيام وأسابيع وشهور وسنوات، على هذا الطريق "القاهرة-إسكندرية"..

كم كان تعسًا وقتها.. وكم هو الآن في قمة سعادته؛ لأنه سيأخذ

الطريق نفسه، وهو في اشتياق وحالة نشوة وحب ولهفة لملاقاة حبيبته نرمين. ليقول في نفسه: "يا لسخرية القدر.. أخيرًا الإسكندرية رضيت عليّ"!..

يقرر نزار أن يذهب إلى المدرسة على الفور.. وفعلاً يصل قبل أي مشرف أو مدرس أو تلميذ؛ ليلاقي الأمن على بوابة المدرسة.. يلقي عليه تحية الصباح، ويذهب إلى مكتبه بكل نشاط.

**وبعد لحظات، تصل المشرفة لتقرع باب المكتب، فيأذن لها د. نزار بالدخول، قائلاً:**

- اتفضل.

**المشرفة، وهي تعرب عن دهشتها:**

- صباح الخير يا دكتور.. أنا استغربت لما الأمن قال لي إن حضرتك وصلت من بدري.. حضرتك مثلنا الأعلى في الانضباط والنشاط.

**نزار، مبررًا لوصوله المبكر:**

- أنا فعلاً وصلت الساعة ٦ صباحاً تقريبًا.. حبيت أنهي بعض الأعمال؛ لأني مسافر بعد ساعة - عندي التزام عمل مهم!!

**تتساءل المشرفة قائلة:**

- هل هناك أي أوامر، أقوم بها في غياب حضرتك؟!

**نزار معبرًا عن تقديره:**

- أشكرك.. إنتي دائماً بتقومي بالواجب، ودورك في المدرسة ممتاز.

**ثم يسألها قائلاً:**

- هل من الممكن أن تتأكدي من إن "كريم" حيروّح مع ميس ندى ويوسف النهاردة؟ أنا أصلي مش متأكد إني حاقدر أرجع قبل ميعاد انتهاء اليوم الدراسي، ولاّ لأ؟!

**المشرفة، معبرة عن استعدادها:**

- تمام يا فندم.. أنا حاوصله بنفسي ليوسف.. لو ميس ندى مش حتقدر تعمل كده!! تحت أمرك يافندم.

**نزار، بصوت فيه امتنان:**

- أشكرك يا أستاذة فايزة... أشكرك كثيرًا..

يغادر نزار المدرسة، وينطلق بسيارته متجهًا إلى الإسكندرية..

**في الطريق، كان نزار يكلم نفسه، ويقول:**

- "معقولة يا نزار؟ للدرجة دي- أول ما نرمين تقولّك تعال، تجري بسرعة كده – الحب ده فعلاً بهدلة!!

يبتسم نزار.. ويستمر في القيادة على أنغام كوكب الشرق، وأغنينها الخالدة "أنت عمري"، ثم يتصل نزار بنرمين، وهو يقود السيارة.

**نزار بلهجة حالمة:**

- سامعة الأغنية دي يا نرمين "أنت عمري"؟ الأغنية دي بتوصف بالضبط حياتي وحبي الكبير ليكي.

**نرمين، تتساءل مندهشة:**

- إنتَ على الطريق خلاص؟!

**نزار، ضاحكًا:**

- أيوه يا حبيبتي.. في الغالب هاوصل على الفطار، مش الغداء!!

**نرمين، في شيء من الفرح:**

- طيب ممتاز.. بس من فضلك يا نزار، خليك حكيم، وسوق على مهلك من فضلك..

الطريق ممتاز، بس لازم نحترم السرعة المقررة؛ حرصًا على أرواحنا!!

**نزار، مؤكدًا:**

- حاضر يا فندم.. إنتَ تؤمر يا جميل (ثم يضحك)!!

**نرمين، بصوت حالم للغاية:**

- وحشتني.. وحشتني يا نزار!!

**نزار، بصوت مماثل:**

- بحبك.. بحبك!!

**نرمين، بصوت يبين حرصها:**

- خلّي بالك يا نزار من نفسك، ومن الطريق!!

**نزار، بسعادة بادية فى صوته:**

- ربنا يخليكي ليّ ومايحرمنيش منك أبدًا.. ولا من عطفك وحنانك....

يستمر نزار في طريقه إلى الإسكندرية، وهو في غاية السعادة لملاقاة حبيبته نرمين، مراعيًا الالتزام بالسرعة القانونية، ومستمتعًا بكلمات "أنت عمري"، وصوت أم كلثوم الساحر..

*****

تدق الحاجة أم محمود، زوجة عم جميل، على باب الشاليه عند نرمين هانم، التي تأذن لها عندما تفتح الباب..

**تبادرها أم محمود قائلة:**

- صباح الخير يا ست نرمين.. حمد لله على السلامة..

**نرمين، مبتسمة:**

- صباح الخير يا حاجة.. اتفضلي.. أنا عايزة نظافة كويسة في الشاليه.. أنا بقالي زمن طويل ماجتش فيه.. المكان فعلاً مليان تراب وحشرات.

**أم محمود:**

- إزاي يا ست نرمين!! أنا وجميل بنظف الشاليه كل كام يوم والله!!

**نرمين، متذكرة ما حدث في المساء:**

- كل كام يوم؟ ولا كل كام شهر؟ أمال فين البنات والأولاد؟ كلهم اتجوزوا؟؟. أنا حزينة على حماده، واللي حصل معاه.. دا بقى شخصية تانية خالص. فين حماده بتاع زمان؟ وليه إتجوز، وخلف وهو مدمن كده؟

**أم محمود، وقد ظهر عليها الحزن والتأثر:**

- يا ست نرمين.. حماده كان زي الفل.. ومراته وأولاده كانوا عايشيين معانا في أسعد حال، وكله كان تمام..

ومرة واحدة، بدأ يدور على مزاجه، ومسك طريق الشم.. ومن يومها حياتنا كلها بقيت مرارة، زي ما شفتي إمبارح بالليل!!

**نرمين، مطمئنة إياها:**

- طيب يا أم محمود – خلينا نحاول نساعده، أنا ممكن أكلم ناس تتولى علاجه.

**أم محمود، وقد تهللت أساريرها:**

- ربنا يخليكي يا ست هانم.. يا ريت يا ست نرمين، لأنه واد طيب وغلبان.. ولكن وقت ميعاد الجرعة، بيكون زي التور الهايج، ويضربنا كلنا، وبيتشطر أكتر على العيال الغلابة دول!!

تبدأ أم محمود في التنظيف، وتفكر نرمين في أن تستعين بنزار، والمركز الطبي لمعالجة الإدمان، الذي تعافى فيه شريف طليق ندى.

بعد ساعتين بالضبط، عقب آخر مكالمة تليفونية، يصل نزار إلى مدخل منطقة المعمورة بالإسكندرية..

**على بوابة الأمن، تم توقيف سيارته، فقال نزار:**

- أنا عايز أروح شاليه مدام نرمين...

**وقبل أن يكمل الجملة، قاطعه عم جميل قائلاً في حفاوة:**

- أهلاً يا بيه.. نرمين هانم منتظرة حضرتك.. إنتوا منورين المعمورة!!

كان عم جميل يتعامل مع نزار، كأنه زوج نرمين، الذي اعتقد أنها تزوجته بعد وفاة زوجها الأول.. وأنهما يأتيان ليقضيا بضعة أيام معًا في الشاليه.. فأكد اعتقاده هذا، قائلاً:

- اتفضل يا دكتور.. دا إحنا النهاردة يوم عيد!!

**نزار، وقد علت وجهه ابتسامة:**

- أشكرك.. كتر خيرك.

**عم جميل، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة:**

- أنا عم جميل، أنا ربيت الست نرمين، وهي لسه طفلة..

أمها، الله يرحمها، كانت ست الناس كلها، وهي اللي كانت متولية أولادي وبناتي، ودراستهم وجوازاتهم..

دي الست نرمين بنتي، وحتة مننا كلنا.

في الجملة الأخيرة التي نطقها عم جميل، خيل لـ "نزار" أن عم جميل يحذره من أن يتسبب في أي جرح لنرمين..

**نزار، بصوت مبتسم:**

- طب يا عم جميل.. ممكن توصلني للشاليه.. الست نرمين في انتظاري!!

**عم جميل، مرحبًا بحفاوة:**

- تفضل يا بيه.. تفضل..

يصل نزار إلى باب الشاليه مع عم جميل، الذي يقرع الباب لتفتح نرمين، وهي في كامل أناقتها المعتادة.. فترى نزار واقفًا خلف عم جميل، الذي سارع بالقول:

- البيه الدكتور.. الحمد لله وصل بالسلامة، وربنا يخليكوا لينا يارب.

ينادي عم جميل على زوجته؛ ليأمرها بأن تنصرف معه في الحال، على أساس أن تكمل بقية أعمال التنظيف والترتيب في اليوم التالي.

يترك عم جميل وزوجته الشاليه.. ويبقى د. نزار ونرمين، وحدهما، كل منهما أمام الآخر.. في عينيهما رغبة جارفة في العناق الدافئ..

وفعلاً يعانق نزار نرمين بكل حب ودفء، ويقبل رأسها ووجهها.

**نزار، وهو يهمس لها:**

- وحشتيني يا نرمين أوي أوي.. أنا مش حاقدر أعيش من غيرك، ولو يوم واحد.

**نرمين، ترمقه بحب، وتقول له:**

- تعال شوف المنظر من التراس.. تحفة!!

تأخذ نرمين بيد نزار؛ لتريه البحر والسماء الصافية، وكأنها تجيب نزار عما سأله إياها منذ قليل، وتغني له أغنية فيروز الشهيرة "شايف البحر شو كبير.. كبر البحر بحبك.. شايف السما شو بعيدة.. بعد السما بحبك"..

ينظر إليها نزار نظرة مليئة بالحنان، وهي بين أحضانه – ويتأمل عينيها الساحرتين، وهي تتجاوب معه بكل حب واستسلام.

**بعد ذلك، تسأله نرمين قائلة:**

- تحب نفطر في الشاليه، ولا نروح على البحر في كافيه المعمورة؟

**لم تنتظر نرمين إجابة سؤالها من نزار، وكأنها تريد أن تسبقه، فقالت:**

- أنا شايفة إننا نطلب من عم جميل يجيب فول وطعمية المعمورة الشهيرة.. ونفطر هنا في الشاليه.

أنت أكيد تعبان من السواقة والطريق– تستريح شوية..

وبعدها أنا عند وعدي.. نتغدى أكلة سمك معتبرة!!

**نزار، بلهجة مفعمة بالرومانسية:**

- يا حبيبتى يا نرمين.. إنتي حاسة بي..

أنا فعلاً صحيت بدري، وما أخدتش كفايتي من النوم.. خلينا نفطر هنا، وبعدها ننطلق.

**تنادي نرمين على عم جميل:**

- عم جميل – عم جميل..

فلم يجبها أحد.. وبعد فترة بسيطة، يقرع أحد ما باب الشاليه.. وتفتح نرمين معتقدة أنه عم جميل؛ فإذا بها تجد حماده أمامها..

**قالت له نرمين بجفاء:**

- صباح الخير يا حماده – أبوك فين؟

**يجيب حماده، وقد بدت عليه علامات الإدمان والتعب:**

- أبويا راح مشاوير من الصبح، وأنا موجود.. لو عايزة أي حاجة!!

**نرمين بتحفظ شديد:**

- من فضلك.. اشتري أربعة ساندويتشات فول وأربعة ساندويتشات طعمية، ومعاهم الطرشي بتاع عم إسماعيل.. إنت طبعًا عارفه؟!

**يسألها حماده، بصوت مرتجف:**

- فيه حاجة تانية؟!

**نرمين:**

- على ما أظن ١٠٠جنيه حتكفي؟

**حماده، ينظر إلى المال بنهم:**

- إن شاء الله.

ترجع نرمين إلى التراس؛ لتجلس مع نزار، ولكنها كانت شاحبة الوجه؛ يبدو عليها الضيق والخوف معًا.. فيندهش نزار من ذلك.

**يسألها نزار مستوضحًا:**

- مالك؟ في حاجة حصلت؟

**نرمين، وعلى وجهها مسحة من الضيق:**

- ده ابن عم جميل.. عنده مشكلة الشباب، اللي ضاع في وسط الزحمة.. الإدمان اللي دمرهم...

ليلة إمبارح كان بيضرب عياله بطريقة وحشية، وأبوه قالّلي إنه ماشي في سكة الإدمان والهيروين.. ومش عارف يعمل معاه إيه.

**نزار، مستأذنًا:**

- طيب تسمحيلي إني أفتح له الباب لما يجيب الفطار؟ أحب أشوفه.. ويا رب نقدر نساعده..

الناس دي غلابة ولازم نقف معاها.

**نرمين، موضحة:**

- طبعًا يا حبيبي.. على ما أظن كلهم هنا خلاص فاكرين إن سيادتك البيه الكبير.

**نزار، بابتسامة عريضة:**

- طبعًا.. ما إنتي مراتي، آجلاً أو عاجلاً إن شاء الله.

**نرمين، بنظرة فيها تذكير بما اتفق عليه:**

- خلينا نشوف الأولاد الأول زي ما اتفقنا.. وبعدين نشوف حكايتنا!

**نزار، مؤكدًا اقتناعه:**

- حاضر يا ستي.. بتديني إحساس إن الأولاد دول عندهم تسع أو عشر سنين.. ولسه صغيرين، ماوقفوش على رجليهم!!

**نرمين، بشيء من الجدية:**

- هم كده يا نزار بالنسبة ليّ.. صدقني، أنا لسه بخاف عليهم زي زمان وأكتر كمان.. كنت فاكرة الخوف بيقل، لكن اللي بيحصل إنه بيزيد!!

يصل حماده بالإفطار، ويفتح له نزار، ليرى صورة متكررة من شكل شريف طليق ندى، عندما قابله لأول مرة في المدرسة مع عادل، عندما أراد رؤية يوسف بالقوة.. يبادر د. نزار بالحديث قائلاً:

- صباح الخير يا ابني.. شكراً على تعبك، خلِّي الباقي معاك.

**يحضر نزار الإفطار لنرمين في التراس، متفادياً الكلام عن حماده أو إدمانه، ثم يقول د. نزار:**

- ومعاكِ أحلى فطار.. ٢ شاي وصلحوا.

- يا سلام على الدلع ده كله... ربنا يخليك ليّ يا نزار.

**نزار، بابتسامة مماثلة:**

- ويخليكي لي أنا كمان، يا روح قلب نزار.

ويتناولان الإفطار معًا بشهية مفتوحة..

**بعد الانتهاء، تعلق نرمين على هذه الشهية التي أكلت بها، قائلة:**

- أنا لو كملت أكل بالطريقة دي، حاكون زي الدبة في يومين..

وأمل صاحبتي في الجيم حتشمت فيّا!!

**نزار، ناظرًا بحب:**

- يا حبيبتى- دبة- فيل- ديناصور.. أنا بحبك في أي شكل، أو وزن!

**نرمين، بنظرة مستريبة:**

- مش ممكن أصدق كلامك؛ لأنك بتحب الجمال والشياكة..

وأنا عايزة دائمًا أكون الست الجميلة والأنيقة، من غير وزن ثقيل!!

- يا ستي، إنت عمرك ما حتكوني ثقيلة..

**يضحكان معًا، ثم تنطلق نرمين بعينيها، وكأنها تتأمل الماضي.**

**تقول نرمين شاردة:**

- عارف يا نزار.. الشاليه ده مضيت فيه أجمل أيام حياتي، نفسي

تشوف الصور بتاعتي مع بابا وماما وإخواتي وخالتي وأولادها.

كنا دائمًا بنصيف هنا، ونلعب ونتخانق..

وكانت ماما تصالح بينّا... تحب تشوف صورنا؟

وقبل أن يجيب نزار، تنهض نرمين ذاهبة إلى غرفة النوم؛ لتأتي بصندوق الصور من مكانه في أعلى الدولاب، ضمن أشياء أخرى قديمة موضوعة منذ سنوات.

وفي لحظة، تسقط المكواة الحديد، ذات الموديل القديم على رأس نرمين، ثم تسقط بكل ثقلها على الأرض؛ محدثة صوتًا قويًا مفزعًا ورجة أكثر فزعًا، أرعبت نزار وجعلته يجري مهرولاً إلى الغرفة؛ ليرى نرمين ممددة على الأرض، ودماء تنزف من رأسها.

**نزار، وقد أصابه هلع:**

- نرمين.. نرمين.. حبيبتي، متتحركيش خالص.

تنظر نرمين إلى نزار بآخر ما تبقى لديها من جهد وقدرة.. وتفقد الوعي.

**يسرع نزار إلى حملها بيديه، وينزل السلالم بأقصى سرعة، مناديًا عم جميل وحماده. آمرًا إياهما:**

- تعالوا معايا بسرعة.. ساعدوني نحط نرمين هانم على كنبة السيارة.. أنا حاروح للمستشفى حالاً.

يساعده حماده، ويركب معه السيارة في المقعد الأمامي.. وينطلق

نزار، إلى مستشفى المنتزه.. ويشاء القدر أن يجد صديقه وزميل دراسته في المدرسة، دكتور محمد فوزي، لا يزال الطبيب المسئول في المستشفى، وكان يعالج "عهد" وعائلتها – كما حضر ولادة كريم في المستشفي نفسها، ويتقابلان معًا في صالة استقبال المستشفى..

**د. نزار:**

- د. محمد- أرجوك تعمل اللازم بأقصى سرعة.. أنا خايف أوي.

**د. محمد:**

- ماتقلقش يادكتور نزار..

يتم استدعاء الطاقم المساعد على الفور.. ويقوم الأطباء بعمل خياطة جراحية للقطع، الذي حدث فى الرأس؛ حتى لا تترك أثرًا..

- الحمد لله، إحنا لحقنا الموقف بسرعة..

**نزار:**

- اعمل الصح يا دكتور.. واللي أنت شايفه.. الحمد لله إنك هنا.. وأنا أثق بك تمامًا.. وأشكر ربنا إننا قريبين من المستشفى.

**وفي الوقت نفسه، يوجه نزار الكلام إلى نرمين، وهو في حالة من القلق والارتباك الشديد، بصوت مفعم بالقلق:**

- نرمين.. نرمين.. سمعاني، أرجوكي يا نرمين.. فوقي، أوعي تروحي مني – نرمين – نرمين..

يرتعش صوت نزار من مغالبة دموعه وزيادة انفعاله.

**د. محمد، مطمئنًا:**

- يا د.نزار.. الموضوع بسيط إن شاء الله.. واضح إن مدام نرمين سقطت عليها آلة حادة، عملت لها قطع بسيط، وحتكون بخير.. ما تقلقش.. إحنا عملنا اللازم، وربنا يتم شفاها على خير إن شاء الله.

**صمت د. محمد برهة، ثم واصل حديثه مع د. نزار:**

- أنا أفضل إن المدام تشرفنا الليلة دي في المستشفى؛ علشان نتأكد إن مفيش أي شيء خطير أو مضاعفات.

**نزار، موافقًا:**

- طبعًا يا دكتور.. أنا مع مراتى طوال الليل.

ينتقل نزار إلى غرفة مستقلة مع نرمين، ويجلس بجوارها طوال الليل، وهو متشبث بيدها أثناء نومها.

**قام نزار يصلي ويدعو:**

- "يا رب – أنت اللي بعت لي نرمين في حياتي؛ علشان تديني كل الحب والحنان والعطف، وتعوضني كل الألم والقسوة اللي شفتها مع عهد.

يارب من فضلك، أنا عارف إني بقالي كتير مش مواظب على الصلاة، ولا بدعيلك.. لكن دلوقتي، أنا فعلاً بدعيلك من قلبي إنك تسامحني

على أي بعد عنك – وترجع لىَّ نرمين، وتحافظ عليها وتخليها ليَّ- أصل يا رب مش حستحمل تديني هدية وتحرمني منها!!

يا رب.. من فضلك يارب".

يبكي نزار، وهو جالس عند قدميّ نرمين، بينما هي مستلقية على الفراش، في غرفة المستشفى..

تمضي نرمين حوالي ساعتين، ويظل الوضع على ما هو عليه..

نرمين نائمة.. وعلى وجهها سلام وراحة، ابتسامة هادئة.

ينظر نزار إليها، وهو في غاية القلق..

ولكن "نزار" في لحظة تأمل شديد، يقول لنفسه: "حتى وأنت متألمة ورأسك مفتوحة وعاملة عملية، نايمة زي الملاك... يا حبيبتي يا نرمين".

يتصل نزار بندى ليطمئن عليها، وعلى يوسف، وكريم.

**نزار، في صوت هادئ:**

- أهلاً يا ندى.. أنا آسف إني تأخرت علشان أخذ كريم.. بس عندي مأمورية عاجلة، ويمكن أتأخر أكثر.. هل ممكن "كريم" يبات الليلة عندكم مع يوسف؟

**ندى، في صوت مرحبٍ:**

- طبعًا يا دكتور نزار.. كريم ويوسف أصلاً في السرير، وناموا خلاص من فترة!!

**نزار، في محاولة للاعتذار:**

- أنا آسف إني لم أتصل من بدري.

**ندى، بصوت متهلل:**

- بالعكس يا دكتور.. كريم زي يوسف.. وده بيته كمان.. ده كان نفسه إنك تتأخر علشان مايسيبش يوسف.. شوف ربنا بيحب الأطفال أوي.. المهم إنك تكون بخير، وكله تمام عندك.

**نزار، بتحفظ شديد:**

- الحمد لله كله تمام.. أشوفك بكره في المدرسة.

**ندى، مختتمة الحوار:**

- إن شاء الله.. تصبح على خير يا دكتور.

- وإنتي على كل خير يا بنتي.

في هذه اللحظة، تفيق نرمين من المخدر وصدمة الإصابة في الدماغ..

تبدأ نرمين في تحريك يدها ببطء بين يديّ نزار..

**وعندها، يلتقط نزار أنفاسه، وينظر إلى نرمين، نظرة فرح وامتنان بنجاتها، ثم يقول لها:**

- حمد لله على السلامة يا حبيبتي.

**نرمين، في تساؤل صريح:**

- إيه ده.. هو إيه اللى حصل.. أي! أي يا دماغي!!

نزار، وهو يحاول أن يهوِّن على نرمين الآمها:

- يا حبيبتي.. إنتي دماغك حديد.. الحمد لله..

إنت كسرتي الحديد نفسه!!

**نرمين مبتسمة:**

- أنا فاكرة إن فيه حاجة حديد وقعت عليا، ووجعتنى أوي، وعورتني.. ونزلت دم كثير، بس بعد كده مش فاكرة حاجة خالص!!

**نزار، مبتسمًا، يحاول إضحاكها:**

- أيوه يا حبيبتي.. وقعت عليكي المكواة الحديد بتاعت خير زمان، فتحت دماغك ونزفتي وروحنا المستشفى.. وعملتي عملية خياطة خمسة غرز.. بس الحمد لله رأسك حديد.. هي اللي كسرت المكواة، بس حنصلحها قريب.

**نرمين، فى صوت مندهشة للغاية:**

- معقولة.. كل ده حصل!! أنا آسفة، تعبتك معايا أوي، كان لازم أخلي بالي أكثر من كده!!

**نزار، متعللاً:**

- نرمين.. بعد اللي حصل ده، أنا لا يمكن أسيبك لحظة واحدة..

أنا كنت حاموت من الخوف عليك.. فما بالك لو حصلتلك حاجة زي كده، وأنتي بعيدة عني ولوحدك!!

**نرمين، بلهجة شاكرة:**

- الحمد لله.. الحمد لله.. ربنا يخليك ليّا يا حبيبي.

**نزار، بصوت مفعم بالسعادة:**

- الله.. الله حلوة منك أوي "يا حبيبي" دي..

بصي يا ست الستات، أنا مش حأقدر أسيبك بعد كده خالص..

أنا معاكي لحد ما أوصلك القاهرة.

**نرمين، مؤكدة:**

- أنا كويسة الحمد لله..

**نزار، مصمم على ما قرره:**

- لا.. مش ممكن أسيبك، أنا معاكِ إلى الأبد إن شاء الله.. رجلي على رجلك يا مراتي يا حبيبتي.. إنتي حياتي وكل حاجة فيها، وأجمل وأعظم وأغلى هدية من ربنا ليّا، وعلشان كده.. لايمكن أفرط في دقيقة واحدة معاكِ- ولا ثانية من غيرك- أنا مش بس بحبك، أنا بحب التراب اللي بتمشى عليه..

ما كنتش عارف إني ممكن أحب بالشكل كده، إنتي غيّرتي حياتي كلها..

غيّرتي كل شيء كان وحش، وخلتيه حاجة جميلة.. كل حاجة بقت لها قيمة تانية....

حتى كريم ابني، حياته تغيرت للأحسن بسببك- إنتي عارفة إنه دلوقتي مع يوسف وندى، ومش عاوز يرجع البيت.

**نرمين، مبتسمة للغاية:**

- يا حبيبي يا كريم.. ولد زي السكر، أنا بَموت فيه.

**نزار، محذِّرًا:**

- نرمين.. أنا باغير يا مدام.. حتى من ابني كريم، دا مهما كان راجل!!

**ويضحك نزار، محاولاً أن يداعب نرمين.**

**نرمين، متألمة:**

- آه يا رأسي – أنا حاسة إني كلي تعبانة.. وجسمي كله منمِّل.

**نزار، ضاحكًا:**

- خليني أدلك رجلك.. دي أحسن حاجة علشان رأسك!!

يبدأ نزار في لمس سيقان نرمين، وهو في غاية السعادة؛ إذ إنها مستسلمة ليديه، وهي ممددة على الفراش..

**نرمين، تمازحه وهي مبتسمة:**

- إنت بتستغل ضعفي، وأنا مريضة!!

**نزار، ضاحكًا:**

- دي فرصتي يا ست هانم.. إنتي عندك أحلى سيقان في العالم.. أنا راجل محظوظ، إن حبيبتي حلوة أوي كده..

**نرمين، في خجل واضح:**

- هو إحنا ممكن نروَّح البيت؟ أنا بقيت كويسة، والحمد لله.

**نزار، مؤكدًا:**

- هذا يتوقف على قرار الدكتور محمد فوزي.

**نرمين، مبتسمة:**

- الله!! اسمه محمد فوزي، دا فال كويس.. أصل أنا بحب الفنان محمد فوزي أوي، وبحب كل أغانيه أوي.. الله يرحمه، كان فنان عظيم.

**نزار، ممازحًا:**

- شوفتي ربنا بيحبك إزاي!!! أهو بعتلك أحسن دكتور في الإسكندرية، وكمان اسمه محمد فوزي، علشان إنتي بتحبيه!!

**يصل الدكتور محمد إلى الغرفة؛ ليطمئن على الحالة.**

**نزار، باحثًا عن الاطمئنان:**

- الموقف إيه يا دكتور؟ المدام عايزة تروَّح..

إحنا بنسمع الكلام.. إيه رأيك؟ أنا قلت لها إن القرار بتاع حضرتك.! إحنا تحت أمرك!!

يقوم د. محمد بالكشف على نرمين بدقة، مع قياس الضغط ونبضات القلب، والكشف على الجرح بدقة شديدة، ثم يقول مخاطبًا د. نزار:

- شوف حضرتك.. المدام ممكن تروّح، بس لازم ترجع بكره الصبح؛ علشان نعمل بعض الفحوصات، ونطمئن تمامًا.

**نزار، مستحسنًا رأي د. محمد:**

- أنا شايف كده أفضل، ونرجع بكره إن شاء الله.

وفعلاً، تتحرك نرمين ببطء شديد بمساعدة نزار؛ حتى يصلا إلى السيارة.. فيستقلانها للعودة إلى المعمورة..

**أثناء الطريق إلى الشاليه، تنظر نرمين بشغف إلى د.نزار، وتقوله:**

- تعبتك معايا يا نزار..

الوقت تأخر أوي على إنك ترجع القاهرة.. أنا أخاف عليك من القيادة ليلاً!!

**نزار، مصممًا:**

- نرمين.. أنا مش راجع القاهرة من غيرك!! أنا حأفضل جنبك لحد ما أطمئن عليكي.. ممكن تسمحيلي أن أقضي الليل تحت رجليكي.. وبكره الصبح بدري نروح المستشفى، وكمان لازم نعرف أحسن وقت، نرجع فيه علشان نغير على الجرح.

**نرمين، وقد أدهشها قرار نزار:**

- معقولة يا نزار!! كده كثير أوي..

**نزار:**

- لا مجال للمناقشة أو التردد.. مش حاسيبك..

يصلان إلى الشاليه، ويستقبلهما عم جميل والحاجة أم محمود، وقد تهلل وجهاهما.. أسرع عم جميل ناحيتها قائلاً:

- ألف حمد لله على السلامة يا ست هانم.. يا ست نرمين.. يا غالية.

**بينما قالت أم محمود:**

- الحمد لله على سلامتك يا ست نرمين..

ثم يوجه عم جميل الكلام إلى نزار قائلاً:

- ربنا يخليلك الست يا بيه، دي أطيب قلب في الدنيا..

خلي بالك على الست نرمين يا بيه.. ده إحنا عايشين من خيرها، وخير أهلها الطيبين..

**نزار، في ابتسامة خفيفة:**

- طبعًا يا عم جميل.. نرمين هانم في عيني!!

داخل الشاليه، يساعد نزار نرمين على الاسترخاء في فراشها، ثم يجلب مقعدًا للجلوس إلى جوارها، ويمسك يديها ليقبلها.. بينما بادرته نرمين مقترحة:

- طيب نام على السرير التاني يا نزار..

مش لازم تفضل قاعد جنبي – إنت أكيد حتموت من التعب.

**نزار، يجيب رافضًا اقتراحها:**

- يا ستي، أنا مبسوط كده.. أنا مرتاح كده!!

**نرمين، مبتسمة:**

- ربنا يخليك ليَّ يا نزار..

مش عارفة، لو ما كنتش معايا، كان ممكن يحصلي إيه!!

**نزار، يعاود التصميم ذاته:**

- أنا بعد اللي حصل ده، مش ممكن أسيبك أبدًا. لازم نتجوز بأسرع وقت.. أنا عايز أكون جانبك طول العمر.. من فضلك، وافقي يا نرمين، أنا بأتكلم بجد!!

**نرمين، مستسلمة:**

- ربنا يعمل اللي فيه الخير.. وأوعدك إني أفكر بجد.. دلوقتي تصبح على خير.

**نزار، بشيء غير يسير من السعادة:**

- تصبحي على خير يا حبيبتي – يا نرمين..

تستسلم نرمين إلى النوم، ولكن يظل نزار ينظر إليها بكل حب وقلق وحنان وشوق ورغبة وتفكير في المستقبل.

يحاول نزار أن يغلق عينيه وينام، وهو ممسك بيديها؛ كأنه يخشى أن تستيقظ، وتطلب أي شيء فلا تجده بجوارها.

*****

# الفصل الثامن
# عادل.. والضابط الصغير

في صباح اليوم التالي، في منزل نرمين هانم بالقاهرة؛ تجلس ندى مع يوسف وكريم على مائدة الطعام للإفطار، قبل الذهاب إلى المدرسة، وهي تحثهما على سرعة انتهائهما من تناول إفطارهما؛ ليذهبا إلى المدرسة، قائلة:

- يا لّلا يا أولاد – عايزين نكون هناك، قبل مدام فايزة ما توصل!!

**يوسف، متوسلاً:**

- مامي.. ممكن نأخذ أجازة النهاردة أنا وكريم!!

**ندى، مستنكرة:**

- ليه!! إيه السبب إن شاء الله؟

**يوسف، بكل براءة وتلقائية:**

- أصلي نفسي أنام تاني!!

**ندى، وهي تضحك في سرها:**

- لازم أنت وكريم كنتوا بتلعبوا طول الليل؟!

**كريم، يرد بسرعة فائقة:**

- لأ.. خالص – إحنا كنا بنذاكر..

**ندى، في دهاء وسخرية:**

- يا سلام على المذاكرة الجامدة!!

تنظر ندى إلى يوسف وكريم بصرامة، وتأمرهما بصوت حازم، بضرورة التوجه فورًا إلى السيارة؛ للذهاب إلى المدرسة. وبسرعة فائقة، ينطلق يوسف مع كريم إلى السيارة؛ لتلحق بهما ندى للذهاب إلى المدرسة..

بينما لا يزال عادل، في مأمورية الغردقة، وتأمين كل مداخل ومخارج الحدود.. ويتعرف أكثر إلى فريقه، ويتجاوب مع كل الأفراد بطريقة إيجابية ومهنية ذات حرفية عالية.

* * * * *

في شاليه المعمورة، في هذه الأثناء.. تستيقظ نرمين من النوم، لتجد "نزار" لا يزال على المقعد بجانبها، ولكنه كان نائمًا نومًا عميقًا، وقد انحنى ظهره، ومالت رقبته على حافة فراش نرمين..

وقتها، تولدت مشاعر متضاربة داخل نرمين، منها مشاعر الحنان والرحمة، وأيضًا مشاعر التأنيب في أنها السبب في عذابه.. كما كانت تشعر في الوقت نفسه بالسعادة والفرح والرضا، من إنها وجدت الإنسان، الذي استطاع أن يضحي براحته وأعماله، ليحتضنها ويؤمنها من أي خطر أو غدر تأتي به الأيام.

تتحرك نرمين بحرص شديد، حتى لا تتسبب في إيقاظ نزار؛ بل إنها تحاول أن تسند رأسه على الوسادة بهدوء شديد؛ حتى يستريح في نومه.. وتقترب نرمين من نزار لتمسك رأسه بيدها.. ولكن "نزار" يستيقظ، في هذه اللحظة، تحديدًا ليمسك بيدي نرمين، وينظر إليها بكل حب وفرح وسعادة بأنها استطاعت أن تفارق الفراش، وتقف على قدميها، ممسكًا بها وناظرًا إليها بحرارة، حتى استطاع أن يجذبها إلى أحضانه بكل حب وحنان، ليقبلها قبلة عميقة، دون أي مقاومة منها، بل إنها استسلمت بالكامل لأحضانه وقبلاته بحرارة ولهفة.

ولكن سرعان ما تتدارك نرمين الموقف، وتفلت من قبضة أحضان نزار، بطريقة ذكية ودبلوماسية؛ حتى لا تجرح مشاعره؛ إذ قالت:

- أي.. أي.. أي يا دماغي!!

**نزار، قلقًا:**

- سلامة دماغك يا حبيبتي...

**نرمين متسائلة:**

- ممكن نروح المستشفى زي ما اتفقنا مع د. محمد علشان نطمئن؟ ويمكن كمان أغير على الجرح!!

- طبعًا، ممكن.. تحبي أساعدك في حاجة؟!

نرمين، تشير بيدها إلى عدم احتياجها لمساعدة:

- كله تمام.. هأتصرف.. مرسي أوي.

توجهت نرمين إلى الحمام، واغتسلت على مهلها؛ مراعاة لقدرتها المحدودة على الحركة.. ثم خرجت – بكل هدوء– من الحمام، وهي في كامل أناقتها، كعهدها دائمًا.. ورغم أن المشاعر بما فيها من رغبة وعشق، قد تجنح بهما إلى حدود مجنونة، إلا أن "نزار" رغم هذا الشوق الذي يكابده، استطاع أن يتحكم في غريزته كرجل عاشق.. وما لبثت نرمين أن توجهت ناحية نزار، قائلة له:

- أنا جاهزة يا فندم.

**نزار ضاحكًا:**

- يا لّلا يا فندم- أنا جاهز.. وإن شاء الله الدكتور محمد حيكون جاهز كمان.

**عندما وصلا إلى المستشفى.. وفي صالة الانتظار، قالت نرمين:**

- يا رب يا نزار، الدكتور محمد يلاقيني أحسن، ونقدر نرجع القاهرة النهارده.

**نزار، مقررًا:**

- إحنا مش حنروح أي مكان، إلا بعد ما نطمئن على سيادتك، والدكتور محمد يقول إنك زي الفل، وممكن نسافر.. بعدها يا سيتي أنا تحت أمرك!!

**نرمين، بلهجة مشوبة بالاعتذار:**

- بس أنا كده، حاكون بعطلك عن المدرسة!!

**نزار، يعاود تأكيد ما قرره من قبل:**

- أنا مش حاسيبك ولا ثانية.. أنا مسؤول عنك.. إنتي نسيتي إنك المدام ولا إيه؟! وعلى العموم، كله تمام في المدرسة، وفي البيت كمان.. أنا كلمت ندى، وكله تمام والحمد لله..

**تبتسم نرمين، وتقول في نفسها:**

- يا رب، كله يكون تمام دائمًا.

**يصل الدكتور محمد ويرحب بهما، ويبادرهما قائلاً:**

- صباح الخير- ده نشاط مشجع، إزيك النهاردة يا مدام نرمين؟!

**نرمين، في شيء من الألم في الرأس، تريد إخفاءه:**

- الحمد لله يا دكتور.. بس أنا لازم أرجع القاهرة النهاردة..

يارب ينفع؛ لأنه عندي شغل كثير، وكمان الدكتور نزار عنده مسؤوليات أكثر.

**د. محمد، موجهًا كلامه إلى نزار:**

- أنا متأكد إن زوج حضرتك لا يمكن يسمح بإنك تسافري، من غير ما يكون مطمئن مئة في المئة على إن الحالة، تستحمل السفر بالسيارة، أو حتى بالقطار!!

**نزار، مستغلاً ما قاله د. محمد:**

- قول لها يا دكتور.. أصل المدام دائمًا مستعجلة على الشغل.. وبتنسى نفسها!!

**د. محمد يرد، وهو يقوم بعمله بتغيير الشاش على الجرح:**

- الحمد لله... الجرح بسيط وسليم، ولكن لازم نستريح على الأقل النهاردة في البيت..

وممكن السفر غدًا، بس بحرص شديد.

**نرمين، وقد أسقط في يدها:**

- على بركة الله يا دكتور.. الحمد لله، بكره الصبح، نسافر إن شاء الله – ماشي يا نزار؟!

**نزار، يبدي علامة الطاعة سعيدًا:**

- أنا تحت أمرك، وأمر الدكتور.

**د.محمد، مؤمنًا على كلام نزار:**

- أظن يا مدام نرمين، ما فيش أحسن من كده..

معاكي زوج مثالي!! وأنا حأكتب لحضرتك اسم زميلي د. عصام أمين، دي أرقامه في القاهرة؛ علشان يتابع الحالة.. أنا أثق فيه، وإن شاء الله نطمئن..

بس أنا أفضل إنكم تسافروا بكره مش النهارده!!

**نزار، في لهجة تعبر عن الامتنان:**

- أشكرك يا دكتور على كل شيء.. ونراك قريبًا، مع السلامة.

تغادر نرمين مع نزار المستشفى، ليعودا معًا إلى الشاليه..

**وفي الشاليه، جلسا يتحدثان معًا:**

- حنعمل إيه النهاردة ؟؟

- ممكن إنتي تستريحي، وتسيبيني أدلعك زي ما أنا عايز!!

**نرمين، وهي قلقة من نظرات نزار، المليئة بالحب والرغبة، والاشتياق والعشق:**

- إزاي يعني؟؟ مش فاهمة!!

**نزار، ضاحكًا:**

- لا تقلقي ولا تخافي- أنا مش حأستغل ضعفك.. إطمئني!

**ويضحك نزار بصوت مرتفع - وتضحك نرمين كذلك.. ثم قال نزار:**

- لازم أكلم المدرسة.. أول مرة في حياتي، أطلب أجازة عارضة، يا لسخرية القدر!

**نرمين، معتذرة:**

- أنا السبب.. أنا آسفة.

**نزار، بسخرية:**

- أنا مسامح، بس بشروط!

**نرمين تتساءل بجدية:**

- نزار.. أنت بتهزر، مش كده؟!

**نزار، مؤكدًا:**

- أنا أسعد إنسان في الدنيا.. إني أكون معاكِ وكمان لوحدنا، وكمان على البحر.. أحمدك يارب.

**نرمين بنظرة رضى وسعادة مليئة بالحب، تقول:**

- أحلى حاجة في الدنيا، إن الواحد يحمد ربنا على كل شيء، حتى لو كانت أوقات صعبة.

**نزار بصوت، يتضح فيه القلق رغم ضحكه:**

- بس اللي إحنا فيه دلوقتي أحلى الأوقات.. هو صحيح رأسك مفتوحة، وفيها كام غرزة.. بس خلينا نفكر بشكل إيجابي.

**نرمين، في نظرة حالمة:**

- ده أحلى أوقات حياتي.. إني أكون جنبك، حتى لو كانت دماغي مفتوحة و بتوجعني أوي.

وتمسك نرمين رأسها، وتبتسم، ويضحك الاثنان معًا.

* * * * *

قام نزار بعمل اتصال هاتفي للمدرسة مع المشرفة مدام فايزة؛ كي يتمكن من متابعة الأحوال..

**قال لها نزار:**

- صباح الخير يا مدام فايزة.. أرجوكِ نأجل اجتماع النهاردة لبعد بكره.. عندي مأمورية مهمة، وحاغيب النهاردة عن المدرسة.

**المشرفة، بصوت مستفسرٍ:**

- خير يا دكتور نزار؟ دي أول مرة حضرتك تأجل ميعاد؟ يارب يكون السبب خير، والأسرة الكريمة بخير.

**نزار، مؤكدًا تمام الأحوال:**

- الحمد لله.. كله خير، بس مشاغل حكومية.

**مدام فايزة، مطمئنة:**

- حاضر يا دكتور.. حأتصل بحضرتك لو في أي شيء – تحت أمرك.

**نزار، معبرًا عن امتنانه لها:**

- أشكرك.. لو سمحتي خلِّي عينك على كريم، وأنا حاكلم ميس ندى علشان يكون معها كمان.

**وبعد انتهاء الاتصال.. يوجه نزار كلامه إلى نرمين:**

- عارفة المدرسة دي كانت سبب إني عرفت ندى، وحبيت أمها، وفرحت بـ "كريم" علشان دايمًا مع يوسف.. وبقى عنده أخ وصديق عمر.

**نرمين، مؤكدة ما قاله نزار:**

- فعلاً يوسف وكريم على طول مع بعض.. وبيموتوا في بعض، بس موضوع ندى وأمها عايز تفكير جامد.

**نزار، متسائلاً:**

- إزاي يعني؟

**نرمين، بجدية مصطنعة:**

- حنشوف.

**ويقرع عم جميل باب الشاليه.. وقد وضحت ملامحه المخبرة عن حدث غير يسيرٍ؛ إذ قال لها:**

- أنا آسف يا ست نرمين، بس ابني حماده وقع من طوله، ومش عارفين نعمل إيه!!

**نزار، مستفسرًا:**

- قوللي يا عم جميل.. هو حماده بقاله كثير بيتعاطى مخدرات؟ وهل عندك فكرة بيأخذ إيه بالضبط ؟؟

**عم جميل، في تأثر بالغ، يقارب البكاء:**

- بودرة بعيد عنك وعن أولادك يا سعادة البيه.. منهم لله ولاد الحرام، اللي جروه للسكة دي، ده كان زمان أحلى وأطيب شاب في المعمورة.. حتى اسأل الست نرمين؟

**نزار، مطمئنًا لعم جميل:**

- إحنا حنساعده يا عم جميل، وإن شاء الله حيرجع أحسن من الأول.

**عم جميل، بعرفان وامتنان شديدين:**

- بجد يا بيه؟ يارب يسعدك ويخلِّيلك المدام.. الست نرمين، ست الستات.

**نزار، داعيًا وهو ينظر إلى نرمين:**

- يارب دائماً يا عم جميل.

وفعلاً، يتخذ نزار قرارًا بمساعدة حماده، وترحيله إلى المركز الطبي للإدمان نفسه – مثل شريف من قبله، كما طلبت منه نرمين.

يتصل نزار بالدكتور أحمد، مدير المركز لعمل اللازم بخصوص حماده، ويتفقان على أن يبدأ العلاج على الفور، بعد أن زار حماده، في منزل أبيه، عم جميل، ورأى بنفسه الحالة السيئة، التي وصل إليها الشاب..

بعدها يرجع نزار إلى الشاليه ليطمئن على نرمين.. قال لها:

- يمكن يا نرمين ربنا جابنا هنا؛ علشان ننقذ حياة هذا الشاب، قبل ما الإدمان يقضي عليه بالكامل، ويموت، ويقهر أهله ويبتم أولاده.

**نرمين، تتحدث برأفة عن حماده:**

- الشاب ده يا نزار، كان زي الفل والوردة المفتحة.. لكن الإدمان عمل كوارث مع الشباب.

**نزار، مذكرًا إياها بشريف:**

- بس عارفة.. شريف أصبح أحسن كثير، وأنا متأكد إنه قريب جدًّا حتشوفي شخصية تانية خالص، غير اللي كان عليها.

**نرمين، متسائلة للاطمئنان:**

- يعني فيه أمل؟

**نزار، مطمئنًا لها:**

- طبعًا يا حبيبتي.. طول ما إحنا مع بعض، دائماً فيه أمل.. ربنا يخليكي ليّا يا نرمين.

**نرمين، في سعادة غامرة:**

- ويخليك ليّاَ يا نزار.. دا أنا لو كنت لوحدي، يمكن كنت مُت.

**نزار، يرد بفزع:**

- بعد الشر عليك.. لسه بدري يا هانم.. أمامك سكة طويلة معايا، ومع ندى وعادل ويوسف وكريم.. ومين عالم، يمكن يكون في عيال تاني.

**نرمين في دهشة وخوف، من أن تكون هناك رغبة لدى نزار في أن تنجب أولادًا منه، فقالت:**

- قصدك إيه؟

**نزار، موضحًا:**

- ممكن جدًّا ندى وشريف يخلفوا تاني.. وما تنسيش عادل وعياله.

**نرمين، رافعة كفيها إلى السماء:**

- يا رب يا نزار... ده يوم الـمُنى، أشوف عيال تاني مع ندى؛ مع إني مش متفائلة من زواج عادل.. لكن كل شيء ممكن.

في تلك اللحظة، كانت نرمين تفكر في داخلها عن الحب الكبير، الذي يحمله عادل في قلبه لـ "مونيكا".

*****

تستمر الأحداث، ويأتي آخر أيام السنة الدراسية، والاستعداد للامتحانات.. ويمضي كريم مع صديقه يوسف معظم أوقاته ليذاكرا معًا.. وتقوم نرمين بالاهتمام بهما بكل المقاييس..

كانت تذاكر معهما، وتحضر لهما الغداء والعشاء، وتلعب معهما الرياضة، وتعزف لهما البيانو، ويغنيان معًا في الصباح، وأحيانًا يشترك معهم عادل في ممارسة الرياضة، ويستمتعون كلهم بهذا الوقت المتميز...

كانت ندى تقوم بتصوير وتسجيل هذه اللحظات الجميلة للأسرة.

استمرت أوقات الامتحانات في المدرسة، وانشغلت ندى مع التلاميذ بشدة؛ لتقديم حفل آخر السنة على مسرح وزارة التربية والتعليم..

أعدت ندى عرضًا خاصًا جدًّا، تعرض فيه ما درسته في باريس، من مناهج الرقص والغناء مع الأطفال، بأساليب حديثة وجديدة..

كان مخططًا لهذا العرض أن يكون من العروض، التي تعرض في وجود لجنة تحكيم، مكونة من أكبر الشخصيات في مجال العروض المسرحية والغنائية؛ لتقييم أحسن عرض، ممكن تقديمه في حفل افتتاح نموذج الأمم المتحدة للمدارس الدولية، في مقر الأمم المتحدة بمدينة ڤيينا، عاصمة النمسا.

كان نزار يحضر، من حين إلى آخر، البروفات على مسرح المدرسة، ويشجع ندى دائمًا، ويظهر لها كل الاحترام والتقدير، ويقصد أن

يخاطبها كابنة له، وفخور بأن جيل الشباب، الذي في عمرها نفسه يستحق كل التشجيع من الأجيال، التي تسبقه بكثير من السنوات.

وكانت ندى قد بدأت تلاحظ، منذ عودتها من باريس، أن د. نزار أصبح متقاربًا منها من الناحية الأبوية ليس أكثر..

وفي المساء، وبعد البروفات في المدرسة، كان هذا الحوار بينها ود. نزار؛ عندما جاء ليتفقد الموقف في الفصل الموسيقي..

**د. نزار، مشجعًا:**

- براڤو- براڤو- يا أولاد، أنا متأكد أن ميس ندى دلوقتي تعبت أوي، ولازم تشكروها على كل المجهود ده، أنا حاسس إنكم هتوصلوا للعالمية قريبًا إن شاء الله.

**ندى، ترد بسعادة واضحة:**

- يا رب يا دكتور، إحنا فعلاً نفسنا نروح النمسا، ونمثل مصر في افتتاح المؤتمر في سبتمبر، إن شاء الله.

**د.نزار، مؤمنًا على رغبتها:**

- إن شاء الله يا بنتي.. أنا متأكد إن ربنا حيعوض تعبكم خير.

**ندى تتعجب؛ إذ إنها ولأول مرة تسمع كلمة "بنتي" بطريقة مباشرة من د. نزار، وهو يحادثها.. فقالت بشيء من القياس:**

- حضرتك أب روحي لينا كلنا.. وعلى فكرة يا دكتور يا ريت تشرفنا في عيد ميلاد يوسف يوم الخميس.. أنا نِفسي أرفع من روحه المعنوية؛

لأنه بيذاكر كثير، هو وكريم، وكمان فرصة أخلّي فيها عادل أخويا، يطلع من حزنه على يوسف صاحبه، وكمان ماما هي اللي هتعمل التورتة.

**د.نزار، مبتسمًا:**

- ده عرض مغرٍ جدًّا، ولا يمكن أرفضه.. أنا معاكم بحس، إني في وسط عائلتي: أنتِ وعادل أولادي، ويوسف وكريم أحفادي.

ويضحك نزار ويغادر المكان، قبل أن يسمع أي تعليق من ندى، التي كانت في حالة ذهول من طريقة كلامه، التي بدت تحمل مشاعر أبوية صادقة.

*****

في صباح اليوم التالى في المكتب، يتصل د. نزار بعادل؛ ليناقش معه الدعوة الكريمة من ندى؛ بخصوص حضور عيد ميلاد يوسف، ويرجو منه موافقته على دعوة شريف "أبو يوسف"، لحضور هذا الاحتفال المهم لابنه.. قال له مرحبًا:

- صباح الخير يا بطل.. ندى بنتي دعتني لعيد ميلاد يوسف، وأرجوك توافق على رغبة شريف في حضور عيد ميلاد ابنه.

**عادل، مترددًا:**

- أنا معنديش مانع يا دكتور.. بس على ضمانتك، الواد ده حضرتك عارف إنه مجنون ومتهور.. أنا حأعتبر حضرتك المسؤول.

**د. نزار، مطمئنًا:**

- ما تخفش يا عادل.. صدقني، شريف أتغير خالص.

**عادل، منوهًا:**

- أنا مش حأقول لندى، علشان ماتلغيش عيد الميلاد.

**د. نزار، بصوت ينم عن الفرحة:**

- فكرة هايلة.. سلام يا بطل.

**بعدها، يتصل د. نزار بشريف لإبلاغه بموعد الحفلة، ويقول له محفزًا إياه:**

- شريف، أهي دي فرصتك يا عريس.. أنت وشطارتك ترجع المياه لمجاريها، ونشوف انتصار الحب الكبير، اللي بينكم، أنت وندى.

**شريف، بصوت مفعم بالامتنان:**

- أنا مش عارف أشكر حضرتك على إيه ولا إيه.. أنت راجل عظيم ومحترم.. وبأدعي ربنا يقدّرني أرد بعض جمايلك يا دكتور.

**د. نزار، مؤكدًا:**

- يا شريف.. أنا أتمنى لكما السعادة كلها- أنتم شباب جميل، وكل اللي أنتم محتاجينه، هو التشجيع ومساندة الكبار اللي زينا.. حاشوفك يوم الخميس إن شاء الله، أمام المنزل وندخل سوا.. ما تنساش تشتري هدية ليوسف، من الحاجات اللي بيحبها، وكمان هدية غالية لندى.

.. قال الكلمات الأربع الأخيرة، متبوعة بضحكة من القلب، لم يكن أمام شريف تجاهها، إلا أن يؤكد في فرحة وحماسة:

- تمام يا أفندم.. معلوم!

* * * * *

تصل ندى إلى المنزل متأخرًا، بمجرد فتحها الباب ودخولها، تجد والدتها في انتظارها، وفي عينيها بعض العتاب والقلق على تأخيرها.. تندفع ندى إلى حضن والدتها:

- ماما.. ماما!!

**نرمين، وهي تحتضنها بعمق:**

- أخيرًا يا ندى.. قلقتيني عليكي أوي يا بنتي.. كل ده في المدرسة!! ليه.. بتعملوا مسرحية لشكسبير؟

**ندى، في لهجة اعتذار:**

- آسفة يا مامي.. مجتنيش فرصة أكلمك بالتليفون؛ علشان أقولك إني حتأخر.

**نرمين، وقد تقبلت الاعتذار:**

- حمد لله على سلامتك يا قلبي..

**ندى توجه الكلام إلى يوسف:**

- يا للا يا يوسف.. أنت تعبان أوي من البروفات.. يا للا اغسل يديك، وعلى السرير دُوغري.. أنت أكلت خلاص الوجبة السعيدة.

**يوسف مبتسمًا ومرهقا:**

- حاضر يا مامي..

**ثم يلتفت إلى جدته قائلاً:**

-.. تصبحي على خير يا نانو.

**نرمين:**

- وأنت من أهله يا روح قلب نانو...

**قالت ندى، معقبة على المشهد الرائع الذي تراه بين أمها وابنها:**

- كان يوم طويل أوي يا أمي. حأموت من التعب.. بس د.نزار حضر البروفات في الآخر، وشجعني أوي.. على فكرة أنا عزمته على حضور عيد ميلاد يوسف.

**نرمين، في ارتباك مفاجئ واضح:**

- تمام يا حبيبتي.. أهلاً وسهلاً.. المهم إن يوسف يكون مبسوط.

**ندى، مؤكدة:**

- طبعًا يا ماما.. هيكون مبسوط، هو في زي د. نزار! ده راجل مش موجود منه في هذا الزمان..

أنا مبهورة بيه، ويارب نرفع رأسه، ويقع علينا الاختيار لحفلة نموذج الأمم المتحدة في ڤيينا.

**نرمين، وهي تحاول أن تطمئنها:**

- إن شاء الله يا ندى.. انا متأكدة أن ربنا حيكرمكم؛ لأنك فعلاً تعبتي أوي، وكمان عملتي مجهود جبار مع التلاميذ.

**ندى، في صوت أقرب إلى التوسل:**

- ادعيلنا كلنا يا أمى.. إنتي ست صالحة، وربنا بيسمع دعاك.

تذهب ندى إلى حجرتها بسرعة، وتترك أمها نرمين في حالة غير محددة، كما لو كانت خليطًا من التأمل والتوتر والفرح؛ لأنها سوف ترى نزار قريبًا.

**تقول نرمين لنفسها:**

- يا ترى يا نرمين.. حتعملي إيه في الموقف ده، وكل العائلة موجودة؟

أصل إنت ونزار مع بعض زي التلامذة، الحبّيبة اللي لسه في المدرسة!!

* * * * *

يأتي يوم عيد الميلاد، وتزين نرمين المنزل، ويبقى الكل في انتظار رجوع عادل من المأمورية.

عند مدخل منزل نرمين.. يدق د.نزار باب المنزل، فتفتح له ندى.. وبكل حب تستقبله بابتسامة عريضة، وتستلم الهدية منه..

**وقبل إغلاق الباب، يقول لها:**

- انتظري، عندي ليكي مفاجأة، أتمنى أن تكون سارة.

يظهر شريف في كامل هيئته وأناقته، بابتسامة حانية رقيقة، وفي عينيه شعلة من لهيب الحب والشوق والرغبة في أخذ ندى بين أحضانه؛ ليسترجعا معًا أيام الحب الكبير الرائع، الذي جمع بينهما يومًا ما.

في هذه اللحظة، كانت ندى أيضًا تنظر إليه، كأنها تراه لأول مرة، مثل أيام الجامعة، وهي في غاية الانبهار والإعجاب الشديد، الذي تطور إلى قصة حب رائعة؛ حيث كانت علاقتهما حديث الجامعة في ذاك الوقت.

يترك د.نزار هذا المشهد الرومانسي الجميل، ويدخل المنزل للقاء حب عمره، نرمين هانم، ويتبادلان هما أيضًا نظرات الحب والعشق، في حالة من السكون التام المليء بأعلى أصوات الشعر والشجن.

في الوقت نفسه، يظهر شياطين الحفل: يوسف وكريم، وزملاؤهما في المدرسة، بالألعاب والصفارات والبالونات، ويحدثون بعض الضجيج؛ ليوقظوا المشاعر من هذا الحلم.

**ندى، بعد أن استوعبت المفاجأة:**

- أهلاً شريف.. اتفضّل.

**ثم تنادي قائلة:**

- يوسف.. يوسف تعال سلم على بابا!!

يتقدم شريف بكل هدوء، وخطوات ثابتة، ليؤكد لـ "ندى" أنه شفي تمامًا من شر المخدرات، متجهًا صوب ابنه يوسف.

**شريف، وهو يحتضن ابنه:**

- حبيبي يوسف.. وحشتوني.

**نظر يوسف إلى أبيه، نظرة كلها حب وهيام، ثم قال وهو في حضنه:**

- بابا.. بابا، وحشتني أوي.. "كنت بأصلي إنك تيجي النهاردة، وتحتفل معانا بعيد ميلادي!!

**شريف، وصوته مفعم بالفرحة:**

- شفت يا يوسف.. لما بنصلي، ربنا بيسمع صلاتنا؛ علشان كده عايزك دايمًا تصلي، وتطلب من ربنا أنه يجمعنا على طول، على نعمة الحب والصحة.

**يوسف، مبتسمًا:**

- حاضر يا بابا..

**شريف، وهو يقدم علبة كبيرة مغلقة، مثقوبة من الجانبين:**

- أنا جبتلك الهدية اللي كنت دايمًا نفسك فيها..

وكمان مامي كانت عايزاني أجيبها من مكان مضمون جدًّا.

يفتح شريف العلبة الكبيرة المثقوبة.. فإذا به يُخرِج منها كلبًا جميلاً، لونه أبيض، مخلوطًا باللونين: البني والأسود، ونوعه معروف باسم "بيجل".

**يوسف، في فرحة عارمة:**

- أنا بأحبك أوي يا بابي... شكرًا.. شكرًا.. أنا بحبك أوي أوي، دي أحلى هدية.

**شريف يسأل ابنه بابتسامة:**

- حتسميه إيه يا سيدي؟

**يوسف ضاحكًا:**

- روكي طبعًا..

يجرى يوسف إلى صديقه كريم؛ ليلعبا معًا بالكلب روكي.. بينما تحاول نرمين أن تنادي عليهما؛ ليسلما على د. نزار.. وليس من مجيب..

**نزار، ضاحكًا:**

- ما تتعبيش نفسك يا نرمين هانم.. لا يمكن يسمعونا.. أولاً كريم نسي أبوه خلاص من كتر قعاده مع يوسف! وبالذات دلوقتي أكثر لما بقى معاهم روكي؟ استحالة يرد... ثانيًا، يوسف مش موجود أصلاً معنا.. هو دلوقتي مع روكي.

يصل عادل إلى المنزل، ومعه هدايا ليوسف وكريم أيضًا؛ حتى يؤكد أنه أخو يوسف..

**عادل موجهًا كلامه إلى يوسف:**

- أنا جبتلك هديتك يايوسف، بس عايز أبدأ بهدية كريم الأول... ممكن؟

**يوسف، بلهجة فيها شيء من المكر:**

- ماشي يا خالو.. بس بسرعة أرجوك!

**ينادي عادل "كريم"، ويقترب منه قائلاً:**

- كريم- أنا جبت حاجة، كان نفسك فيها أوي، تقدر تعرفها؟

**كريم، وهو ينظر إلى والده؛ طلبًا للمساعدة:**

- مش عارف يا أنكل.. يمكن بابا يعرف!!

**عادل، يشير إلى الهدية:**

- تفضّل يا سيدي.. شوف أنت بنفسك...

**كريم، بكل بهجة، يفتح الهدية ليجد بدلة ظابط بالمقاس الصح له..**

**كريم، وفي عينيه سعادة فائقة:**

- مِرْسِى أوي أوي يا أنكل عادل.. دي أحلى هدية في حياتي..

ويندفع كريم معانقًا عادل بكل قوة، وعادل يحتضنه ويقبله..

**فلما رأى نزار هذا الموقف المؤثر جدًّا في حياة ابنه الوحيد، وجه كلامه لعادل، وهو في غاية الشعور بالعرفان:**

- مش عارف أقول لك إيه يا عادل، أو أعبر عن اللي جواي إزاي.. أنت خليت ابني أسعد طفل النهاردة.. أشكرك من قلبي.

**عادل، موضحًا في حب:**

- يا د.نزار! كريم ابنك.. لكن هو كمان ابني اللي مخلفتهوش.. أنا بموت في الولد ده.

**ويلتصق كريم بعادل بحب، ويقول له:**

- أنكل عادل.. أنا عايز أكون ظابط شرطة زيك بالضبط.

**نزار، متسائلاً وممازحًا فى الوقت نفسه:**

- يعني مش مهندس زي بابا؟!

**كريم، مبتسمًا في وجه والده نزار:**

- بابا، أنا عايز أكون زي أنكل عادل في كل شيء.

**عادل، في عتابٍ وممازحة:**

- يا دكتور نزار، إحنا حنغير بقه ولا إيه؟؟ خليلي ولد يحبني أوي كده، ويكون عايز يبقى زيي.. محدش عارف إذا كنت حأقدر أجيب عيال زي كريم ويوسف، ولاّ لأ!!

**نزار، موافقًا:**

- تمام يا سيدي.. بس أنت يا عادل، اللي زيك مش موجود في الدنيا.. أخلاقك ومبادئك وتربيتك، مش موجودة في الزمن ده خلاص!

**عادل، ناظرًا إلى نرمين، في امتنان وفخر:**

- ده شغل ماما.. هي الخير والبركة!

**تنظر إليهم نرمين بنظرة رضا وسعادة وفخر، وهي تقول ضاحكة:**

- إنتم كلكم ما فيش حد زيكم، علشان نسيتوا التورتة وعمالين تتكلموا.. ياللا نطفي الشمع.

يفصل شريف النور ويلتصق بابنه يوسف، وتجاور ندى ولدها أمام التورتة، والجميع في أغنية "عيد ميلاد سعيد"..

عند إطفاء الشمع، تتم إضاءة الأنوار، ويقبل شريف يوسف، وينتهز هذه الفرصة ليقبل ندى قبلة عاطفية جريئة، جعلت ندى تستسلم لعاطفتها نحو شريف، ولكنها كانت تستوعب الموقف بكل خجل، وتداركته سريعًا بأن بدأت في تقطيع التورتة.

تمر اللحظات الجميلة سريعًا، الكل فرح وسعيد بتجمعهم معًا.. تنتهي الحفلة في بهجة وسلام، ويطلب د.نزار من كريم أن يستعد للعودة إلى المنزل معه.

**ندى، تحاور نزار:**

- خلّي كريم معانا الليلة دي يا دكتور من فضلك!!

**نزار، مبررًا سبب طلبه:**

- صعب يا ندى.. علشان حنبدأ الامتحانات، وهو متأخر جدًّا، ولازم يلتزم شوية.. وفي الحقيقة أنا لوحدي، وهو واحشني أوي.. عايزه ينام في حضني الليلة دي.

تتأثر ندى بما قاله د.نزار، متمنية لهما ليلة سعيدة، وتسلم على شريف بمزيج من المشاعر المتوترة والمخاوف المستقبلية، والشوق إلى أيام الحب والهناء، الذي كان بينهما..

كان ما حدث الليلة كافيًا بالنسبة لـ "ندى"، فقد أدركت أنها

لا تزال تحب "شريف".. وكان كافيًا بالنسبة لـ "شريف"؛ فقد أدرك أنه نجح في العبور من أزمته، وأنه جدير بالعودة إلى ندى وابنه يوسف مرة أخرى..

**يغادر د.نزار في هدوء، بعد أن ودع نرمين بكل ود واحترام، ثم يقول لـ "كريم":**

- كريم حبيبي... يا للاّ علشان ننام، ونسيب الناس الحلوة دي كمان تنام.

**كريم، في وداعة، وفي حضنه روكي الكلب:**

- حاضر يا بابا..

ينطلق نزار وابنه معًا لركوب السيارة...

بينما تنظر إليهما نرمين، وفي عينيها كلام كثير، كان الواضح منه تلك الكلمات:

- "كنت أتمنى أن تبقيا معنا على طول"

*****

# الفصل التاسع

# الفداء وبداية الحياة

كانت "**عهد**" في قصرها الكائن بمدينة الإسكندرية بمنطقة المندرة، المطلة على البحر مباشرة..

ذلك القصر الذي تم تزيينه بالصالونات الفاخرة والتحف الثمينة..

بالإضافة إلى نجف له بريق باهظ الثمن.

لا تزال "عهد" في غرفة النوم؛ فقد اعتادت أن تستيقظ وقت الظهيرة؛ لتنادي على خادمتها لإحضار القهوة..

وفعلاً تأتيها الخادمة بالقهوة.

**عهد، آمرة خادمتها:**

- هاتي القهوة والسجاير معاكِ.

**الخادمة، وقد أسرعت لتلبية الطلب:**

- تحت أمر.. حضرتك.

**عهد، مستاءة:**

- مش أنا قلت لك لما أطلب سجاير على الصبح، تحاولي تمنعيني؟

**الخادمة، متوترة:**

- أنا.. أنا كل مرة لما بأحاول أمنع حضرتك، بتهزأينى.

**عهد، بتعبيرات كاملة عن الاستياء والازدراء:**

- خلاص.. خلاص، روحي- هاتي المحمول من الشاحن.. حاجة تقرف!!

**الخادمة، وهي تسرع لتلبية الطلب:**

- حاضر.

تنصرف الخادمة إلى عملها، بعد أن أعطت القهوة والسجائر والمحمول لـ "عهد".

تتصل عهد بـ «نزار»؛ لتتفق معه على أن تأخذ "كريم" ابنهما، معها، فى رحلة صيفية إلى الغردقة؛ حتى يتعرف إلى زوجها الجديد، الذي تزوجت منه، بعد مرور شهور العدة عقب طلاقها من نزار..

يندهش نزار من سرعة زواج عهد، ولكنه يهنئها بكل احترام، متمنيًا لها حياة سعيدة، ويوافق على سفر كريم معها، في أول أسبوع من أجازة العام الدراسي.

*****

تستمر الأحداث وتبدأ الامتحانات، وينشغل الجميع في أعمالهم.. نرمين تستمر في الذهاب إلى المصنع، كل صباح، وتحاول الالتزام بالتدريبات الرياضية ومعها صديقتها أمل.. لقد قررت نرمين أن

تؤجل أي مناقشة مع عائلتها في موضوع زواجها من نزار؛ حتى ينتهي العام الدراسي.

أما ندى، فقد كانت في حالة توتر دائم وانشغال شديد في المدرسة، لتنظيم الحفل الغنائي السنوي الكبير، على مسرح وزارة التربية والتعليم المركزي.. ولكنها - رغم ذلك - تحن، من وقت إلى آخر، إلى أن تحكي مع شريف، عندما يتصل بها؛ بحجة الاطمئنان على يوسف، ومتابعة دراسته، وأدائه في الامتحانات.

بينما كان شريف في عملية تحسن متواصل سريع؛ فقد تعافى تمامًا من الإدمان، وتحسنت حياته من كل النواحي الصحية والنفسية وأيضًا العاطفية، وأصبح يشعر بقيمته الحقيقية، وأحقيته في محاولة لم شمل زوجته وابنه مرة أخرى..

ومن ناحية نزار، فقد كان في قمة الانشغال في إدارة المدرسة، وفترة الامتحانات وإقامة الحفلات لكل تلاميذ السنوات الدراسية المختلفة.. كذلك حضور اجتماعات الوزارة والاستجابة أيضًا لشكاوى الأهالي والمدرسين..

ولكن رغم كل هذا، كان على اتصال دائم بـ «نرمين» للاطمئنان عليها، ومتابعة قصة حبهما، التي يصفها بالخالدة. وفي الوقت نفسه، كان متفهمًا تمامًا لظروف تأجيل أي مناقشات، حول موضوع زواجه من نرمين، حتى انتهاء العام الدراسي.

في صباح ثاني أيام الامتحانات، أعادت عهد الاتصال بالدكتور نزار،

لتؤكد له ميعاد حضورها إلى القاهرة؛ ليصطحبها كريم في إجازة الصيف.. ويرد نزار بالموافقة، ويتم تحديد الميعاد، في اليوم الثاني بعد انتهاء الامتحانات بالمدرسة مباشرة..

تجري الأيام بسرعة فائقة، وتصل عهد إلى القاهرة مع زوجها الجديد، رجل الأعمال المشهور.. وتذهب بالفعل إلى د. نزار لتصطحب "كريم" معها؛ لتمضية أسبوع في الغردقة، مع زوجها.. ولأن الحالة الأمنية لم تكن قد استقرت- نتيجة المواجهات المستمرة مع الإرهاب والتطرف- طلبت أن ينضموا إلى مجموعة سياح، في أوتوبيس سياحي فاخر؛ لضمان سلامة وأمان الطريق.

ويتصادف أن يتم ذلك، في الوقت نفسه، الذي يكون فيه عادل يؤدي مهامه في تأمين دخول وخروج منطقة الغردقة، ويقوم بقيادة فريق عمل الكمين، في صحراء الغردقة على الطريق السريع، على أكمل وجه، وأعلى قدر من المهنية..

في هذه اللحظات، كان الأوتوبيس السياحي الفاخر، يقوم بنقل السياح الأجانب، ومعهم عهد وزوجها وكريم، وهم في سعادة بالغة؛ خاصة عهد التي حصلت على كل شيء تتمناه: زوج غني يحقق لها كل ما كانت تريده، من مال وقصور وحفلات، ورحلات داخل مصر وخارجها.. كما حصلت أيضًا على ابنها كريم، وأن يكون معها وبين أحضانها.. فهي تعرف جيدًا نبل أخلاق نزار، وأنه لا يمكن أن يسمح لنفسه بحرمان ابنه من والدته.

في منتصف الطريق السريع، وقبل الوصول إلى الغردقة في قلب الصحراء، كانت كل الأمور على ما يرام.. الأوتوبيس يمضي إلى مقصده، والكل مستمتع بالرحلة.. إلا أنه قامت ثلاث سيارات، بها عناصر إرهابية من مجموعة كبيرة من الرجال، يرتدون أقنعة سوداء؛ ويحملون أسلحة ثقيلة ورشاشات، باعتراض طريق الأوتوبيس وإيقافه..

يتوقف الأوتوبيس، ويقتحمه اثنان منهم، آمرين الركاب بالنزول أو القتل؛ مما أثار فزع وخوف جميع الركاب، وراحوا يصرخون بصوت مليء بالخوف والرعب: إرهاب.. إرهاب.

بسرعة فائقة، يقوم السائق بالاتصال سريعًا بالشرطة؛ لإبلاغهم، ويرسل موقع الحادث من تليفونه المحمول.... وفعلاً تصل التعليمات لقائد كمين الشرطة، بقيادة المقدم عادل في الغردقة.. يتعامل عادل مع الموقف سريعًا، ويتجه مع فرقته القتالية إلى الموقع.

في الوقت نفسه، يتجه أفراد العصابة إلى الصعود إلى الأوتوبيس؛ لسرقة أموال كل الركاب.. وفعلاً، قام السياح بتسليم كل أموالهم، وكذلك عهد وزوجها- وفجأة يعود أحد هؤلاء المجرمين إلى عهد، عندما رأى الذهب والألماس، الذي ترتديه في عنقها ويدها، ويأمرها أن تعطيه كل ما بحوزتها من مجوهرات.. وفعلاً تخلع عهد الخاتم الماسي، وكل الذهب الذي كانت تتزين به، وهي في حالة ذهول وخوف وذعر شديد.

تصل الشرطة في هذا الوقت، ويرى عادل هذا المنظر؛ فيطلب إمدادًات إضافية من القوات.. ويبدأ الهجوم على الإرهابيين لمحاولة تحرير السياح..

ويأمر المقدم عادل، وهو المسؤول والقائد للكمين، أعضاء العصابة بالاستسلام، ولكن العصابة كانت تحاول الهروب وإطلاق النار على الشرطة؛ مما جعل عادل يطلب استعجال القوة المضاعفة، حين رأى العدد الكبير للأفراد المهاجمين.

**أرسل عادل تلك الإشارة المستعجلة، قال فيها:**

- يا افندم- دول عصابة مجرمين كبيرة، عايزة تسرق باسم الإرهاب.. بس إحنا مسيطرين، ولكن علشان يكون الموقف أكثر أمنًا، إحنا محتاجين قوة مساعدة؛ علشان نضمن سلامة كل الركاب وبدون أي إصابات.

وفعلاً.. تتحرك القوى الإضافية بسرعة؛ للانضمام لزملائهم في الشرطة، ويستمر الاشتباك بين اللصوص والشرطة، ويتم تبادل إطلاق النار من كل الاتجاهات.

يطلب عادل من زميله أن يقوم بتأمينه جيدًا؛ حتى يستطيع أن يقبض على المجرمين الإرهابيين.. وعندما يقترب عادل على قدميه من الأوتوبيس، يراه كريم من النافذة.. وبسرعة البرق، يترك والدته عهد، وينزل راكضًا لملاقاة عادل، وهو يصرخ:

- أنكل عادل.. أنكل عادل!!!

وفي وسط إطلاق الرصاص، يركض عادل سريعًا لحماية كريم من هذه الطلقات، ويأخذه في أحضانه ليغطي جسده الضئيل؛ حتى لا يتعرض كريم لأي أذى، ويستقبل هو، في تلك اللحظة، وبدلاً عن كريم، كل الطلقات التي تخترق كل مكان في جسده.

كان المشهد في غاية القسوة، وسط صرخات الركاب، وتدفق الدماء التي تسيل على الأرض.. ويبقى عادل ملقى على الأرض، محتضنًا كريم، ومحافظًا عليه، وقد امتلأ كل جسده بالرصاص والدم.

لم تصدق عهد ما رأته أمام عينها.. أن يكون هناك شرطي عظيم مثل ذلك الشخص، الذي افتدى ابنها من الموت ومات لأجله، وهو يحتضنه؛ لحمايته من أي طلقة نارية غادرة.

في ذلك الوقت، تصل المساعدة الإضافية من الشرطة إلى موقع الهجوم؛ لاحتواء الموقف والإحاطة بالمجرمين والقبض عليهم جميعًا.

في حين كان عادل ملقى على الأرض.. يلفظ أنفاسه الأخيرة، وهو يحضن كريم، وينظر إليه بكل حب وحنان وفخر ورضى، لأنه استطاع أن يفديه بروحه.. وسرعان ما استسلمت العصابة في يد الشرطة، وينتهي هذا المشهد الرهيب بأن يعود الركاب سالمين، دون أية إصابات أو قتلى، بعد المعاناة من هذه الصدمة والحادثة البشعة.

يجري كريم نحو والدته عهد، وهو في غاية الخوف والرعب، ودم عادل يغطي ملابسه.. و يعود الأوتوبيس إلى القاهرة لإتمام الإجراءات الأمنية، بينما تقوم عربة الإسعاف بحمل جثمان الشهيد إلى القاهرة.

يتصدر هذا الحادث الإليم وسائل الإعلام ووكالات الأخبار؛ حيث يتم يتناول الخبر في دوائر الدولة كافة، وتكتب الصحافة عن هذا الحدث المروع، وتشيد بالأعمال البطولية، التي يقوم بها أبناء الشرطة البواسل. ينعي القادة المسئولون المقدم عادل رفعت، الذي أنقذ كل الركاب على حساب حياته.

*****

يهبط الخبر كالصاعقة على والدته نرمين هانم، فتنخرط في البكاء والحزن لعدة أسابيع، فاقدة النطق، لا تستطيع أن تكلم أحدًا.. وكذلك كانت ندى فاقدة القدرة على تصديق ما حدث.. في غمضة عين، فقدت أخاها الوحيد وسندها ورمز كل الأشياء الجميلة..

حتى يوسف الصغير.. كان لا يتكلم مع أحد.. فكان يجول بناظريه في حزن عميق، وكأن عينيه تبحثان عن خاله في كل أركان المنزل.

كانت مأساة بكل المقاييس.

وفي مشهد العزاء، بحضور عماد (عم عادل) وشريف ونزار يستقبلون المعزين في سرداق المسجد..

حيث الكل يتكلم بكل فخر وانبهار عن الشهيد عادل فى إشارة واضحة إلى الدرجة العظيمة التي نالها، حين ضحى فى سبيل وطنه وأبناء وطنه بالروح الغالية، فحاز تلك الدرجة الرفيعة عند الله..

هذا بينما كان هناك مشهد آخر للعزاء بمنزل نرمين هانم، التي كانت في حالة من الذهول وعدم التوازن..

وكانت ندى تستند على مونيكا، وهي تستقبل المعزين..

وتقترب الدكتورة مريم منها وبجانبهما شريف، فتؤدي واجب العزاء بكل عاطفة وحزن..

ولكن كانت هناك حالة سلام على وجهها الملائكي.

**وفي حالة بالغة من الشجن والتأثر، وجهت د. مريم الكلام إلى ندى، قائلة:**

- أنا واثقة إن الله العظيم في مجده، والأب السماوى في رحمته، فرحان بيوسف وعادل مع بعضهما، بجواره في السما.

**تجيب ندى على د. مريم بكل انكسار وضعف، قائلة:**

- أشكرك يا د. مريم، شريف كلمني كثير عن حضرتك، وكان نفسي أشوفك من زمان.. لكن حكمة ربنا إننا نتقابل – لأول مرة - في عزاء عادل أخويا...

**تستمر ندى في البكاء، ولكن في صمت وصمود..**

كانت ندى تنظر إلى د. مريم بكل حب وعرفان، ليس فقط لكلماتها المعزية العميقة، ولكن أيضًا لما بذلته من عمل مشرف وشاق مع زوجها شريف؛ لاستعادته إلى حياته من جديد، فقد كان الناتج رائعًا!!

**يمر شهر بعد استشهاد عادل، ويحين موعد احتفالية تخريج دفعة جديدة من كلية الشرطة، في مشهد مهيب..**

يقوم وزير الداخلية بتكريم عائلات، ضحايا الواجب وشهداء الوطن..

وفي مشهد رائع على مسرح كلية الشرطة، ينادي الوزير على أسماء شهداء الوطن، مع عرض صورهم على شاشة المسرح..

يحضر هذا التكريم ندى وشريف، وابنهما يوسف.. وأيضًا مونيكا ووالدها اللواء لويس عبد الله، والدكتور نزار، الذي حضر ومعه حماده ابن عم جميل، وكان في منتصف طريق التعافي من الإدمان..

أما الأمهات، نرمين وكريستين، فقد كانتا في عزلتيهما.. كل واحدة في منزلها، تحت تأثير الصدمة الرهيبة لفقدان ولديهما.

نادى مقدم الحفل، على اسم المقدم يوسف لويس؛ حيث تقدمت مونيكا أخته لاستلام التكريم والشهادة التقديرية.

كانت الدكتورة مريم من بين الحاضرين.. وشاهدت لأول مرة صورة المقدم يوسف على الشاشة، وراحت تتذكر الموقف، الذي كانت تتحدث فيه مع شريف، وهو يرشح "يوسف" كعريس لها، وكم كان شريف يحبه ويحترمه..

**أطفئت الأنوار الخاصة بالمسرح، وأضيئت خشبة المسرح، وكذلك مكان منصة مقدم حفل التكريم، الذي قال:**

والآن، سنعرض لحضراتكم ڤيديو، قام بتصويره أحد السائحين، الذين كانوا في الأوتوبيس السياحي، الذي تعرض لحادث سطو مسلح، من مجموعة مجرمين في غاية الخطورة..

إنها فرصة رائعة لندرك معًا بسالة قوات الشرطة وقدراتهم على القتال، وحماية المواطنين، والأجانب ضيوف مصر؛ حيث يظهر في هذا الفيديو نجاح أبطالنا في إنقاذ جميع الركاب المصريين والسياح الأجانب في قلب صحراء الغردقة، دون حدوث أية خسائر بشرية بينهم..

وبالفعل يعرض الڤيديو مشاهد لعادل وفرقته الباسلة، في تبادل إطلاق النار واستشهاد بعض أعضاء الشرطة، وتمكن الفرقة من القبض على كل المجرمين.. ويظهر في آخر الڤيديو مشهد عادل، وهو يركض نحو الطفل كريم؛ لحمايته من رصاص الأشرار، فيفتديه بروحه ودمه، ليغطيه تمامًا، وينوب عنه في استقبال طلقات الرصاص الغادرة الموجهة إلى كل جسده..

بعدها، عرض المشهد الأخير المؤثر، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة؛ ناظرًا إلى كريم نظرة حب ورضا، ذلك أنه استطاع أن ينقذه من الموت، مفتديًا إياه بنفسه.

تلألأت الدموع الساكنة تضيف البريق على أعين أغلب الحاضرين..

أما ندى، فكانت ثابتة شامخة، كما كانت مونيكا متماسكة ضابطة لمشاعرها..

لقد تضاعفت أحزانها؛ إذ فقدت الأخ الكبير..

كما فقدت الحبيب الوحيد الذي أحبته، رغم أنه كان بالنسبة لها الحبيب المستحيل..

كان شريف ينظر إليهما، وهو في تأثر بالغ، وبجانبه د.نزار وحماده.

تعرف شريف إلى حماده، حيث قابله في المركز..

كان الاثنان يتكلمان عن حياتهما، التي كانت بلا قيمة مع المزاج والإدمان..

وها هما يحضران تكريم شابين، مثلهما في السن، ولكنهما كانا أكثر رجولة وجدية وانضباطًا والتزامًا..

لقد كانا شهيدين للدفاع عن الوطن والإنسانية والشرف والحق.

لقد أراد د. نزار دعوة حماده إلى هذا الحدث؛ حتى يتعظ مما حدث، ويشاهد القيمة الحقيقية للحياة.

ينادي مقدم الحفل على أسماء شهداء هذا العمل الوطني للتكريم..

يبدأ باسم البطل، قائلاً:

المقدم "عادل رفعت" صاحب آخر لقطة في هذا الڤيديو، ويتسلم التكريم عنه أخته الأستاذة "ندى رفعت".

تنهض ندى وتتقدم لاستلام التكريم والشهادة، وهي شامخة ومتماسكة..

تقوم بإلقاء كلمة بعد مصافحة الوزير:

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**معالي الوزير، السادة الحضور،،**

شرف لي ولعائلتي أن أتسلم هذا التكريم لأخي الوحيد، المقدم عادل رفعت، وأن أهديه لأمي العظيمة وكل أمهات مصر، وأيضًا الآباء الذين ربوا أبناءهم على حب الوطن والحق والشرف والعزة والكرامة..

كما ضحى الشهيد المقدم يوسف لويس بحياته لحماية أرض مصر، ضحى الشهيد المقدم عادل رفعت بحياته لحماية شعبها وضيوفها...

لقد آمنا بهذا الوطن، وكانت لهما قضية مقدسة، يدافعان عنها بكل الحب والطواعية وبكل اليقين..

**تصمت ندى برهة ثم تكمل:**

إن الحب والتضحية بالنفس، لا تفرق بين رجل أو امرأة، غني أو فقير، كبير أو صغير..

كما شاهدتم في هذا التسجيل، فإن الشهيد المقدم "عادل" ضحى بحياته ليفدي الطفل كريم، وتلقي كل الرصاصات عنه؛ حتى لا تمس جسد هذا الطفل البريء.

*****

في هذه الأثناء نفسها، كانت "عهد" جالسة أمام شاشة التلفاز مع ابنها كريم، في منزلها الفاخر الجديد؛ لتشاهد ندى، وهي تتسلم

التكريم.. وفي عيونها الدموع المتجمدة، وعزة النفس الجليلة، وتستمع إلى ما قالته عن تضحية أخيها المقدم عادل؛ لإنقاذ ابنها كريم.

أحدث ما استمعت إليه عهد صدمة لديها.. ولكي تتأكد من العلاقة، سألت ابنها كريم قائلة:

- مين الظابط ده اللي أنت بتحبه كده، وكنت بتجري عليه، وترتمي في حضنه؟!

**كريم، مندهشًا:**

- ده أنكل عادل يا مامي.. أخو ميس ندى، مُدرسة الموسيقى بالمدرسة.. أنا باحبه أوي، ونفسي أكون زيه... ده هو اللي جابلي أحلى هدية في حياتي.. بدلة ظابط الشرطة.

**عهد، في تأثر شديد:**

- أنت عارف إنه كمان كان بيحبك أوي يا كريم؟

**كريم، مؤكدًا:**

- طبعًا يا مامي!!! أنكل عادل كان دائمًا بيلعب معايا أنا ويوسف.

**وينظر كريم إلى أمه نظرة توسل، راجيًا منها أن توافق على ما يقوله، إذ قال لها:**

- يا ريت توافقي يا مامي إننا نروح نزورهم قريب...

كلهم وحشوني أوي يا مامي.. يوسف، وميس ندى، ونانو نرمين!!

**عهد، فى تأثر بالغ:**

- تمام يا كريم.. حنروح قريب أوي، إن شاء الله..

وهنا تقف عهد في ذهول وحسرة، ومشاعر مليئة بالتأنيب والندم الشديد وصغر النفس!! وتتأكد عهد من أنه – فعلاً - عادل ابن نرمين هانم، والأخ الأوحد لندى.. وتشعر بمشاعر متضاربة، منها ندم.. ومنها عرفان، ومنها شعور بالذنب.. ومنها احترام وتقدير لهذه العائلة العظيمة.

تتذكر عهد أنها تقابلت مع نرمين هانم، والدة عادل مرتين في حياتها:

المرة الأولى، عندما ذهبت إليها في المنزل؛ لتتهمها بعدم تربيتها لابنتها ندى "تربية صالحة"؛ لأنها ظنت بها – دون وجه حق- أنها تستبيح لنفسها معرفة رجل متزوج، وأنها تطمع في ماله ونفوذه؛ لأنه مدير المدرسة..

وكانت المرة الثانية، عندما وجدتها في فصل المدرسة مع د.نزار، وهي تعزف البيانو، بعد الفترة الدراسية في قاعة المدرسة، وكان د.نزار يقف أمامها، بكل حب، وعلامات وجهه مليئة بالشوق والحنان؛ ففي ذلك اليوم، قامت عهد بإهانة نرمين هانم، وإلقاء أسوأ الكلمات والألفاظ البذيئة واتهمتها بأنها عاهرة، دون أي مبادئ أو أخلاق..

في هذه اللحظة، تشعر عهد بأنها تدين لهذه السيدة بكثير من الأسف والاعتذار، كما أنها تدين لها بحياة ابنها كريم، وحيدها..

تقرر عهد أن تذهب لزيارة نرمين هانم، راجية من كل قلبها.. أن تسمح لها نرمين بالدخول إلى منزلها..

تمر الأيام، ونرمين هانم لا تزال بالمنزل في حالة ذهول وخوف، ممزوجين بمشاعر فخر واعتزاز بأن ابنها الوحيد بطل وشهيد، رفع رأسها مدافعًا عن الوطن..

كانت نرمين تمضي معظم الوقت تصغي إلى الأغاني الوطنية؛ خاصة أغنية "ابني حبيبي، أنا أم البطل "، التى تتحدث عن أم - مثلها تمامًا - فقدت ابنها فداءً للوطن..

كانت تستمع إلى تلك الأغاني جالسة في صالون المنزل، وأمامها فنجان القهوة، كعادتها كل يوم من الصباح حتى المساء، دون أن تتكلم مع أي شخص.. مرتدية فستانًا أسود بسيطًا ورقيقًا؛ فقد كان عادل يعجب بها، عندما ترتديه، ويصفها بأحلى كلمات.

وفي صباح يوم، وهي تجلس في صالون منزلها، مرتدية الفستان الأسود نفسه، وأمامها فنجان القهوة وكوب الماء، تأتي عهد، ومعها كريم لمقابلتها وتعزيتها..

تأتي الخادمة لتخبر نرمين هانم بأن هناك سيدة ترتدي رداءً أسود، وفي يدها كريم، تريد مقابلتها.. لم تلاحظ نرمين ما قالته الخادمة ولم تجبها، بل ولم تنظر إليها حتى، بل كانت تلتزم الصمت، غير راغبة في النطق، منذ رحيل عادل..

تذهب الخادمة للترحيب بعهد وكريم، وتدخل عهد بملابس سوداء محتشمة، وفي يدها كريم..

تجلس عهد أمام نرمين بكل أدب وخشوع واحترام فائق، متوسلة بنظرات عينيها أن تبادلها نرمين الحديث، ولكن دون جدوى..

يدور حوار من جانب واحد..

من جانب عهد، وفي يدها كريم، وكأنها تهديه لها..

**قالت عهد، في تأثر بالغ:**

- نرمين هانم! أنا النهاردة مش جاية علشان أعزيكي بس، لكن كمان علشان أرجوكي أن تسامحيني على كل كلمة قلتهالك قبل كده..

حضرتك سيدة فاضلة وأم مثالية، عرفتي تربي لوحدك راجل، يعرف إزاي يحب بلده، ويموت علشانها، وهو بيحميها ويحمي أولادها..

أنا حأفضل طول عمري مدينة ليكي، ولابنك الشهيد البطل العظيم عادل، اللي ربتيه على حب بلده، وبأشكرك على وطنيته، وحبه للخير والحق.

**تقترب عهد من نرمين؛ لتكمل الكلام الذى بدأته قائلة، بتوسل وتأثر بالغين:**

- أنا جاية النهاردة؛ علشان أسيب ابني كريم في رعايتك، إنتي وأبوه نزار..

يا نرمين هانم، ابنك عادل افتدى ابني كريم بروحه وبحياته، وابني حيفضل طول عمره مديون له بحياته..

**اختنق صوت عهد بالدموع، فقررت الصمت برهة، ثم أردفت قائلة، بالتأثر نفسه، وهي تسلم ابنها كريم إلى نرمين:**

- أنا دلوقتي بأهديه لك، وبأقول لك إني عمري ما حأعرف أربيه زي ما إنتي ربيتي..

ولا حأعرف أبني زي ما بنيتي.. ولا حأعرف أعلم زي ما علمتي..

ابني في إيدك الأمينة، وأنا واثقة إنه حيكون من أحسن وأمهر شباب العالم.. اقبليه مني.. أنا بأهديه لك، يكون تحت طوعك، وتحت أمرك.. وبأدعيلك ربنا يصبر قلبك ويعوَّضك.

**تستمر عهد فى الكلام، في خشوع وتواضع، ودموع تملأ عينيها.. قائلة:**

- كل اللي بأطلبه منك إنك تسامحيني وتقبليني صديقة لك..

ومهما قلت، مش حيكفِّي اللي أنا عايزة أقوله.

تنظر إليها نرمين هانم، وتبكي بكاءً متواصلاً، ثم تضم "كريم" بشدة في أحضانها، وتقبِّله بكل حب وحنان، ودموعها تنهال على رأسه..

**أما كريم، فقد كان في استسلام تام في أحضان نرمين.. بينما عهد تكمل، وكأنها لا تريد أن تتوقف عن الحديث إلى نرمين؛ لتحصل على غفرانها عما بدر منها، وقبولها لما تقترحه عليها:**

- أنا دلوقتي عرفت ليه نزار حبك الحب ده كله.. هو حب فيكي

كل شيء.. حضرتك فعلاً سيدة عظيمة.. علمتيني درس عمري، وغيَّرتي فيَّ حاجات كثير، كانت غلط. أنا مهما قلت، مش هيكفي التعبير عن مدى عرفاني بالجميل، وعن شكري واحترامي، وتقديري ليكي.. حضرتك ملكة، تستحقي إنك تحكمي مملكة قلب كل حد يعرفك.

في هذه اللحظة، تنظر نرمين إلى كريم بكل حب وحنان، وترى ابنها عادل فيه، وتحتضنه بقوة ومحبة طاغية، وتقبله مثل أم تقبل ابنها، الذي كان مسافرًا لفترة طويلة، ثم عاد إلى أرض الوطن، وإلى حضن أمه الدافئ.

تترك عهد "كريم" وهو بين أحضان نرمين، وتغادر المنزل في هدوء وسلام.. وفي طريقها إلى باب الخروج، تنظر إليها الخادمة نظرة تعجب؛ لأن هذه السيدة في زيارتها الأولى كانت فى غاية الجبروت، ثم تحولت فجأة من وحش، يجرح دون شفقة، إلى مذنب متواضع يعترف بأخطائه، ويركع ليتطهر منها ويطلب المغفرة.

في تزامن عجيب؛ في الوقت نفسه، كان نزار – داخل مكتبه - يتناقش مع صديقه د.عمرو بعض الإجراءات.. التي تتعلق بالمدرسة..

**قال نزار على حين بغتة:**

- أنا رايح لنرمين... مش قادر أبعد عنها... كنت الأول بقول عايز أعيش بالحب، وكفاية واجب وعقل... لكن دلوقتي أنا متأكد من إن حبي لنرمين، هو اللي بيكمل المعادلة الصعبة أوي دي... قلبي حبها وعشقها...وعقلي انبهر بشخصيتها وطباعها، وبعد كل اللي

مرت به من تضحيات: الأول بنفسها علشان أولادها.. وبعدها بفنها وطموحاتها الفنية، وآخرها بابنها الوحيد علشان الوطن، والأبرياء اللي أنقذهم، وأولهم ابني كريم...

الواجب يخليني أدعي الله إنه يقدرني على إسعادها..

ويجعلنى دائمًا خادمًا لها وقلبًا وحضنًا يحتويها.

**د. عمرو، مقترحًا التأني:**

- يارب يسعدكم يا صاحبي... أنا متأكد إنها حتقبل الزواج، ولكن اصبر عليها شوية.. الست راح منها أغلى ما عندها.. ربنا يصبرها، ويعوضها كل خير.

**د. نزار، مؤكدًا:**

- صعب.. أنا خايف عليها من الوحدة والحزن.. ادعيلي يا صاحبي... سلام.. أنا رايح لها فورًا.

ثم ينصرف خارجًا؛ حيث يستقل السيارة، ويتوجه إلى منزل نرمين..

يصل د.نزار بعد رحيل عهد بلحظات؛ ليفاجئ بوجود كريم بين أحضان نرمين..

**يجري كريم نحوه، قائلاً لأبيه:**

- مامى حبت نانو نرمين أوي أوي يا بابي.. وسابتني عندها.. أمانة بين يديها!

**د.نزار، مبتسمًا متباهيًا:**

- وهو في حد في الدنيا دي مايحبش نانو نرمين.. طبعًا يا حبيبي، روح أنت العب مع يوسف دلوقتي؛ لأني عايز أقعد مع نانو نرمين شوية.

ويذهب كريم مسرعًا، باحثًا عن صديقه يوسف وكلبه روكي.

**يجلس نزار بالقرب من نرمين وجهًا لوجه، ناظرًا في عينيها، التي كانتا لا تزالان بهما دموع من لقاء "عهد" بها، ويقول لها، محاولاً رفع معنوياتها:**

- نرمين.. أنا عايز أعيش معاكي دلوقتي، وأكمل السنين الباقية من عمري معاكي.. أرجوكي يا نرمين، تقبلي أن نتزوج بأسرع وقت، أنا بحبك.. بحبك.. بحبك، وعارف ومتأكد إن دي كانت رغبة عادل البطل الشهيد.. وقال لي قبل استشهاده إنه اتكلم معاكي عن هذا الارتباط، وكان سعيدًا جدًّا بأنك مستعدة له..

**نرمين هانم، بعد حالة من الصمت:**

- مراتك ست طيبة أوي.. شجعتني وخلتني أحضن "كريم"، وأنا حاسة كأني بحضن ابني عادل، اللي راح عند ربه.. راح بدري أوي.

**ثم بكت نرمين بشدة، وهي تقول:**

- وحشني.. وحشني أوي.. يا رب صبِّرني...

**اقترب نزار من نرمين، وضمها إلى حضنه بكل حب وحنان؛ ليواسيها بعطف وود، ثم قال لها فيما يشبه اليقين:**

- عادل حيفضل معانا دايمًا، وروحه الحلوة حوالينا.. وأنا متأكد إنه سعيد جدًّا إننا بخير، ومع بعض.

**ترد نرمين، والدموع في عينيها، وهي رافعة رأسها إلى السماء:**

- يا رب.. يا رب.. صبِّرني يا رب.

لكنها لم تكن تستطيع أن تفعل شيئًا، إلا أن تستمر في البكاء..

في هذه اللحظة، تصل ندى، وهي مرتدية رداءها الأسود، وفي حالة من السعادة، ولكنها مغلفة بالحزن، لعدم وجود عادل لسماع هذا الخبر السعيد.. وتنادي هاتفة:

- ماما.... ماما... د. نزار.... كويس أوي إن حضرتك هنا معانا.....

المدرسة فازت، وهنروح النمسا في أول سبتمبر، علشان افتتاح حفل نموذج الأمم المتحدة في ڤيينا!!

**ترفع نرمين ذراعيها، وهي تبتسم لسعادة ابنتها.. ثم تقول لها:**

- الحمد لله – براڤو يا ندى – ألف مبروك ياحبيبتي.. ربنا يوفقك، ويعمل كل اللي فيه الخير.

**نزار، في فرحة غامرة:**

- هايل.. عظيم، ده خبر مهم جدًّا يا ندى....

**ندى بنظرة حب مغلفة بتهديد غير جاد:**

- يا حبايبي.. إعملوا حسابكوا.. أنا مش حسافر من غيركم أنتم

الاثنين.. حتيجوا معايا أنا، والعيال اللي في العرض.. وعلى فكرة- ده مش رجاء ولا طلب.. ده تصميم وقرار.. أنا رتبت الدنيا خلاص على كده!

وفعلاً تبدأ ندى في إنهاء إجراءات السفر إلى النمسا، ويساعدها د. نزار في كل الإجراءات المطلوبة..

**تتصل ندى بشريف على الهاتف المحمول لإبلاغه بهذا النجاح.. وفي قرارة نفسها تتمنى أن يصحبهم في هذه الرحلة، وتقول له:**

- هاللو يا شريف.. الحمد لله المدرسة فازت في المسابقة، وإن شاء الله حنروح النمسا في شهر سبتمبر..

**شريف، بفرح وحب:**

- ألف مبروك يا ندى... ده أحلى خبر سمعته من زمان. ألف ألف مبروك يا حبيبتي.. لو عايزاني معاكم، أنا تحت أمرك، دا يسعدني للغاية!!

**ندى، وهي في غاية السعادة، لأمنيتها التي توشك أن تتحقق:**

- يا ريت يا شريف تنضم للقافلة المسافرة... أنا حأحتاج كل خدماتك في الرحلة، بالذات مع الأطفال العفاريت، اللي مسافرين معايا..

**شريف، بتلقائية وسعادة غامرة:**

- طبعًا معاكي يا ندى.. وحأساعدك على العصابة دي كلها.

**ندى، بصوت تملؤه الفرحة:**

- مرسي يا شريف أوي... كمان يوسف حيكون أحسن كتير، وأنت معانا.

يقوم شريف -فعلاً- بالترتيب مع نزار لعمل اللازم، ويحين موعد السفر، ويجتمع كل التلاميذ في مطار القاهرة الدولي، ومعهم نرمين ونزار وندى وشريف..

يصل الجميع إلى مطار ڤيينا، ويكون في استقبالهم مندوب من السفارة المصرية في النمسا، ثم يتوجهون بعدها إلى الفندق، الذي سيقيمون فيه، وقد تمت الإجراءات على أساس عمل بروڤة على المسرح، الذي سيقدم عليه الحفل بعد وصولهم مباشرة.

في مشهد يوم افتتاح المؤتمر يكون المشهد رائع في مبنى منظمة الأمم المتحدة في ڤيينا.

يشرف الحضور في الصف الأول السفير المصري لدى النمسا، وتجاوره نرمين – نزار- وشريف، مع بقية المدعوين.

وعلى المسرح الكبير، ترفع الستار، وتعرض ندى والأطفال أغنية "مملكة القلب"، كلمات وألحان الفنانة داليا فريد..

**أغنية مملكة القلب**

بقرأ الجرايد - بشوف النشـرة

كل مكان ده شـكله فـي أزمة

هو إحنا إزاي وصلنا لده

قتل وجـرائم وكدب وقسـوة

ظـلم ومآسـي وضـعف وظلمة

إزاي ابتدى كل ده

لو كانت الحرب بس بسيوف

كان مات الشر على أيد الجيوش

شكل المعركة جوايا وجواك

ده شكل الحرب في مملكة القلب

مملكة راحت ومملكة جت

والأرض بتدور - بتدور على نور

يا عالم نفسه في كلمة حق

ده شكل الحرب في مملكة القلب

خوف ومصاعب وشك وزحمة

سهلة الحياة - تموت الفرحة

وشعلة نور كانت في حد

تعرف إنك بكلمة واحدة

تقدر تشجع إنسان في لحظة

وتساعده ينور تاني بجد

وترجع بسمة كانت ع الخد

يا قلبي إقوى وماتستسلمش

لكلام مدمر دا كله كدب

يا قلبـي إقـوى وعينك لفوق

لخـالق القلـب لمـلك الكـون

مملكة راحـت ومملكة جـت

ودموع الشـعوب بتروي الـورد

يا عالم نفسه في حـب بجـد

هتوجـده فـي مملكة القلـب

* * * * *

ينتهي المشهد بانتهاء الأغنية: "مملكة القلب"، وتصفيق حار من كل الحاضرين في الحفل الكبير..

تندمج دموع الفرح مع دموع حزن الفراق، في عيني نرمين، ولكنها -بقوة وشجاعة- تستمر في التصفيق بفخر وبقلب الأم؛ لنصرة ابنتها ندى..

أما ندى، فقد كانت تنظر إلى الجمهور، وعينها تتوجه إلى والدتها نرمين، وكأنهما في تواصل متفق عليه، ورضى لهذا النجاح الباهر لندى في تحقيق حلمها، في أن يكون للفن دور كبير في نشر السلام والمحبة، وتغيير البشر للأحسن؛ لكي تسمو الأخلاق إلى مستقبل أفضل، ولتكن الحياة مليئة بالمثل العليا.

وبعد انتهاء العرض، يصفق جمهور الحاضرين بحرارة، وتترك ندى

خشبة المسرح مع يوسف وكريم، للانضمام إلى نرمين ونزار وشريف، ليرحلوا معًا لاستقبال المستقبل.

* * * * *

بعد مرور خمسة سنوات.. وبينما د. نزار في صالون مكتبه بالمدرسة، ومعه شريف، الذي كان قد جاء لزيارته، وهو في كامل صحته وأناقته، كما جاء بهدف تبليغه اعتذار ندى عن عدم حضورها للمدرسة بسبب عيد الأم..

**شريف، معتذرًا عن ندى:**

- ندى بتعتذر جدًّا لحضرتك؛ علشان لازم تكون مع نرمين هانم تساعدها، في ترتيبات حفل عيد الأم..

**د. نزار، مؤمنًا على حديث شريف:**

- عارف يا شريف! لازم يكون عيد الأم يوم أجازة.. ما فيش أغلى من الأم في الدنيا..

**ثم يتصل بسكرتيرته ليقول لها:**

- مدام مي، من فضلك قولي لحماده السواق يحضَّر العربية.. لأننا حنتحرك بعد ربع ساعة.

**في هذه الأثناء، تقرع المشرفة باب المكتب، ومعها كريم ابن نزار.. فيسأل نزار قلقًا:**

- في إيه تاني يا كريم.. مش معقول، تضرب أي حد يقرب من عادل!!

**كريم، موضحًا السبب:**

- يا بابي.. عادل مسؤوليتي، ولازم أخلي بالي منه - الأولاد اللي في الفصل، هم المتشردين، ولازم يتربوا.

**نزار، ضاحكًا وكذلك شريف:**

- ماشي يا حضرة الظابط! أوامرك ياباشا!! حنربيهم هما وأهاليهم وإحنا كمان. بس دلوقتي لازم نروح على البيت، نانو مستنيانا كلنا على الغذاء.. بس سلم الأوَّل على أنكل شريف...

**كريم، يسأل بقلق:**

- هاللو أنكل شريف.. يوسف وعادل حيروحوا معاك ؟!

**نزار، موضحًا:**

- لا يا سيدي.. أنكل شريف عنده مشاوير؛ علشان يساعد نانو، وميس ندى، ويوسف وعادل حيروحوا معانا.. مبسوط يا بطل؟!

**يقف كريم ممشوق القامة، كما كان يطلب منه الشهيد عادل، ويجيب والده بتحية الشرطة المفضلة لديه:**

- تمام يا فندم.

يصل الجميع إلى منزل الأسرة والعائلة الكريمة، ويصبح المشهد الرائع على النحو التالى: يوسف وكريم يلعبان كرة قدم في الحديقة، ومعهم روكي الكلب.. أما مينا وعادل، فهما يحاولان اللحاق بيوسف وكريم، في الحديقة، بكل تركيز.

**نرمين تقف وسط الحضور؛ بجوارها ندى..**

والكبار يلتفون حول مائدة الطعام في أجواء من الحب والراحة والتفاؤل...

يستمعون جميعًا إلى أشهر أغنيات عيد الأم، "ست الحبايب"..

يكررون وراءها كلمات الأغنية..

بينما تنادي نرمين على الأولاد، ليكونوا ضمن دائرة الملتفين حول المائدة :

- يا عادل - يـا يوسف ياللا كفايــة لعب .. يا كريـم ياللا .. مينا يا حبيبي.. تعالوا حناكل...

كان المشهد نفسه يتكرر في ذهن نرمين، وقت أن كان الشهيدان يوسف وعادل، طفلين في المدرسة يلعبان معًا وقت الغذاء...

وكأن التاريخ يعيد نفسه، وأن الشهداء – حقًّا - لا يزالون أحياء..

وحول مائدة الطعام.. وقف كل الأحباب:

نرمين - نزار- كريم – ندى – شريف وبجانبهما عادل (٤ سنوات) ويوسف، د.مريم – مونيكا وزوجها، وابنهما مينا، ووالدها، ووالدتها..

نظرت نرمين إلى الجمع العزيز، وأجواء الاحتفال الرائع..

**قالت، وهي تحاول أن تداري دموعها، وتبين تلك البسمة العريضة، التي ارتسمت على محياها:**

- ده أحلى يوم في حياتي كلها..

أنا حاسة إن "عادل" ويوسف، روحهم معانا..

**نزار، مؤكدًا:**

- هم فعلاً معانا على طول، وما شاء الله.. كل أطفال الحفلة أولاد، حتى مونيكا جابتلنا مينا؛ علشان مينا أخو الدكتورة مريم يكون دايمًا معانا.

**د. مريم، في ابتسامة كبيرة:**

- دي أحلى هدية في حياتي، إني أكون من العائلة دي.. أنا حاسة إن ربنا عوضني بأحلى عائلة في الدنيا.. ربنا يخليكوا ليَّا دائمًا.

**بينما قالت مونيكا:**

- طنط نرمين حتفضلي دايمًا ملكة المملكة بتاعتنا..

ومش حنسيب أو حننسى حد مننا أبدًا.. حتى اللي راحوا عند ربنا!!

**شريف، بابتسامة رائعة:**

- مع إننا كان نفسنا نجوزك يا د.مريم.. بس أنا بأحترم رأيك..

**نرمين، تنظر للجميع في محبة عارمة:**

- يا للا يا مريم.. عايزين نشوف بنت في العائلة كتكوتة..

ندلعها شوية – بدل الأولاد الخناشير دول!!

**ندى تنظر في عين شريف وتبتسم، فتلاحظ نرمين هذه الابتسامة، على وجه ابنتها، وتشعر أن هناك أمرًا رائعًا، تخفيه ندى وزوجها.. وتسألها بصمت من خلال عينيها الناطقتين..**

**ترد ندى بصوت يسمعه الجميع:**

- آخر مفاجأة يا شعب..

أنا حامل في الثالث، والدكتور قال بنت، والحمد لله.

**مونيكا تزغرد، وتعلو الهتافات والصيحات..**

ينظر الكل إلى ندى..

تظهر علامات البهجة والفرحة بوضوح على وجه نرمين، التي تسرع نحو ابنتها لاحتضانها..

**أما د.مريم، فإنها تأخذ نفسًا عميقًا براحة تامة، وتقول:**

- أشكرك يا رب..

**ثم تنظر برضا وامتنان إلى العائلة، قائلة:**

- البنت جاية من ندى، من غير ما تنتظروا تجوزوني!

**د. نزار، فرحًا:**

- ألف مبروك يا ندى.. ألف مبروك يا شريف...

بس عارفين الخناشير دول عاملين قلق في المدرسة..

وكل التلاميذ بتحترم النظام بسببهم..

كريم ويوسف، إعدادية يا عم!!

**كريم، بحماس:**

- أنا ويوسف بنحافظ على النظام، وبندافع عن الحق..

**د. نزار، بقلق وسخرية:**

- فعلاً، النهاردة كريم ضرب زميل عادل، علشان حاول يأخذ مكانه في الفصل.

**كريم، بصوت مفعم بالجدية، وفي جملة قاسية:**

- أنا أموت فدا عادل... زي ما أنكل عادل فداني!!

**فرد يوسف بكل حب:**

- وأنا أموت فدا كريم، علشان هو صاحبي وصديق عمري..

**عادل، بكل براءة:**

- وأنا أموت علشان مينا؛ لأنه أصغر مني، ولازم أحميه..

ضحك الجميع من براءتهم وتلقائيتهم وعفويتهم، وحبهم الصادق لبعضهم البعض.

**قالت نرمين بكل حب:**

- وأنا بأموت فيكم كلكم..

بس عايزاكم – كمان - تعيشوا كلكم؛ علشانا وعلشان مصر، أم الدنيا.

**يعاود الجميع الضحك، ويفرح الكل..**

وتنظر نرمين بكل سعادة وصفاء، وهي في داخلها شكر وحمد لله العلي القدير..

وكلها إيمان بأن من مات في سبيل الله، هو حي يرزق عند ربه..

وأن الحياة تستمر بروح هؤلاء العظماء.

**وتستمر الحياة بالإيمان والرجاء والمحبة.**

*****